الغائيـة عنـد المعتزلـة

دكتور

خالد على عباس القط

دكتوراه في العقيدة والفلسفة
والمذاهب الإسلامية والمعاصرة ومقارنة الأديان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)

صدق الله العظيم

[سورة: طه – الآية: ١١٤]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البـــــحث

يبرز هذا البحث مفهوم (الغائية عند المعتزلة)، والتي ترتبط ارتباطـــا وثيقـــا بالأفعال الإلهية، والأفعال الإنسانية لإثبـــات العدالـــة الإلهيـــة، وحريـــة الإرادة الإنسانية.

وذلك من خلال الحديث عن:- عوامل نشأة علـــم الكـــلام الإسلامي،وأصـــول المعتزلة الخمسة، ثم بيان مفهوم (الغائية) لغة واصـــطلاحا لـــدى المـــدارس الفكرية الإسلامية – الفلاسفة والأصوليين والمتكلمين –، ثم إبراز مفهوم (اللطف الإلهي)، وبيان مظاهره التي تتمثل في:-

(إرسال الرسل ومهمة الإعلام بالتكليف الإنساني ، منح الله تعالى العقل للعباد، وتكليف العباد ما يطيقونه، و إثبات حرية الإرادة الإنسانية، وتفسير وجود الشر في العالم، والعدالة الإلهية، والتوفيق والهداية الإلهية للعبـــاد، وتحقيـــق الوعـــد والوعيد الإلهي على الفعل الإنساني)، وموقف أهل السنة منها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقـــــــدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى،ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والصلاة والسلام على الحبيب الكريم محمد بن عبد الله ﷺ،سـيد الخلـق طـب القلوب ومنيرها،وعافية الأبدان وشفائها،الذي بلغ الرسالة،وأدى الأمانة،ونـصح الأمة،وكشف الغمة،وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها،لا يزيغ عنها إلا هالك. وبعد،

لقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ،والعرب متنافرون لا تجمعهم جامعـة،كأنهم ذرات الرمال المتناثرة، فجمعهم الله تعالى على الهدى،والحق بالإسلام،وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا،لا عصبية تفرقهم، و لاحزبية تشتت جمعهم، وقد تـرك الحبيب الكريم ﷺ للمسلمين ما إن تمسكوا به لـن يـضلوا أبـدا: (كتـاب الله وسنـــــــــته) .

ولقد مرت الأمة الإسلامية بأحداث جسام،كانت أعظمها وفـاة الحبيـب الكـريم ﷺ،قاصمة الظهر ومصيبة العمر..، ثم ظهور حركـات المرتـدين..، ومـانعي الزكاة..، والمتنبئين.

وفي آخر عهد ذي النورين،بدأت العصبية العربية التي أخمد جذوتها الإسـلام، تورى ناراً، ثم اشتعلت بعد استشهاد (عثمان بن عفان)،وزاد من حدة الخـلاف التنافس على الخلافة الـسياسية،فتحطمت وحـدة الأمة،وانقـسمت إلـى شـيع وأحزاب،وقامت بينهم حروب مدمرة،ومذابح رهيبة ذهب ضحيتها كثيـرٌ مـن الصحابة والتابعين،وقادة المسلمين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد كان للخلاف بين أمير المؤمنين على بن أبي طالب،ومعاوية بن أبي سفيان،ثم التحكيم بينهما أثرٌ بعيد في انقسام الأمة،ونشأة الأحزاب،والفرق الدينية،والسياسية المختلفة، ذلك لأنه: " ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل علي الإمامة في كل زمان "، فقد حاول بعض أتباع كل حزب أن يُدعم ما يدعي بالقرآن الكريم،والسنة،فتأول بعضهم القرآن الكريم،وفسروا بعض نصوص الحديث الشريف بما لا تحتمله، ولما لم يجد بعضهم في هذين الأصلين سبيلاً إلى غايته لكثرة حفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي،لجأ بعضهم إلى وضع الأحاديث،والكذب على رسول الله ﷺ،فظهرت أحاديث عن فضائل الخلفاء الأربعة، وغيرهم من رؤساء الفرق،وزعماء الأحزاب، كما ظهرت أحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية،والفرق الدينية وغير ذلك، فإذا أضفنا إلى ذلك دخول أهل الحضارات، والديانات القديمة في الإسلام،غير أن بعضهم فسر تعاليمه متأثراً بمعتقداته السابقة، فأثاروا كثيراً من المشكلات حول الجبر،والاختيار، وصفات الله تعالى.... وغيرها

وبجانب هذا الفريق دخل أفواج منهم الإسلام،وقلوبهم تفيض حقداً،وبغضاً للإسلام والمسلمين، وما دخلوا إلا للكيد له،وتدميره من داخله،فتظاهروا بالصلاح والتقوى وحب آل الرسول الكريم ﷺ،حتى وثق فيهم العامة،واطمأن إليهم الخاصة، فبدءوا ينشرون الشبه التي تشكك الناس في عقيدتهم،ويبثون الأفكار المضللة للعقول،والمذاهب المنحرفة عن الحق التي تذهب بصفاء العقيدة الإسلامية،ونقائها، وشوهوا جمال الإسلام بما أقحموه عليه من بدع،وخرافات،وتأويلات،وأحاديث موضوعة مكذوبة، فظهر المتشيعون الذين شايعوا الإمام عليا بن أبي طالب، ومنهم انبثق الغلاة في حقه،وظهرت كذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخوارج عليه حينما ارتضى بالتحكيم مع معاوية بن أبي سفيان،وتكفيرهم لهما، وفي الوقت نفسه

وقفت طائفة من المسلمين بعيدة عن الخلاف السياسي، لا تقطع فيه برأي، وإنما ترجئ الأمر إلى الله، يحكم فيه بما يشاء وسموا بالمرجئة...، وظهرت المجسمة المشبهة للذات الإلهية...، ثم ظهرت المعتزلة حاملة راية التنزيه الخالص- كما يرون أنفسهم -،والدفاع عن الإسلام ضد أعدائه من المجسمة، و أصحاب الديانات،والمذاهب الأخرى، وضد الحكم الظالم الذي حاول أن يبرر ظلمه على الناس، انطلاقا مما هو مكتوب مقدر عليهم،ولا دخل لهم فيه،وغير ذلك من القضايا العقدية التي ظهرت أواخر عصر الصحابة،ثم عصر بني أمية،وبني العباس، فنشأ بذلك علم سمي بعلم الكلام،أو علم التوحيد، أو علم أصول الدين،له أهدافه،ومقاصده،وأصول،وفروع،وله رجاله، ومدارسه.(١)

فإذا أضفنا إلى ما سبق:-

* دعوة القرآن الكريم إلى التفكير،والتأمل،وحثه على النظر،والتدبر في ملكوت السموات، والأرض، بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى خالق الكون كله، ومن ثم اشتملت آيات القرآن الكريم على مبادئ عامة كونت النظام العقلي الإسلامي في بدايته.

* وترجمة العلوم والمصنفات الأجنبية إلى العالم الإسلامي،ويتمثل ذلك العامل في إطلاق قيود الفكر في العصر العباسي، الذي اشتغل خلفاؤه بالعلم والأدب،وأمروا بنقل المصنفات الأجنبية من اليونانية،والفارسية،والسريانية،والهندية إلى اللغة العربية، وكان من بينها كتب الفلسفة،والرياضة،والمنطق، وقد عكف المسلمون على دراسة المنطق،والإلهيات،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوقفوا على قواعد للجدل تخالف ما ألفوه، وعلى مذاهب فلسفية لم يكن للمسلمين بها علم من قبل، ومن ثم فقد تنبه علماء الكلام أن في هذه المذاهب أموراً تصادم الدين، فتعرضوا للرد عليها، وأموراً،وآراءً يمكن أن يستفاد بها في نصرة الدين الإسلامي، والتي اعتبرت كمقدمات مزجوا بها الفلسفة بالدين، فأصبح علم الكلام الإسلامي مدافعا عن العقيدة الإسلامية، وحفظ عقيدة أهل السلف، وحراستها عن تشويش أهل البدع،حيث ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله ﷺ عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم،ودنياهم، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة، فكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين،وحرك دواعيهم لنصرة الإسلام بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ". (٢)

هكذا تجمعت هذه العوامل لنشأة علم الكلام الإسلامي، علي أن العامل الأساسي الذي دارت عليه الخلافات بين الفرق هو:- النزاع بين على،ومعاوية على السلطة، ذلك لأن هذا النزاع ارتبط بنشوء الخوارج والشيعة،والمرجئة،والمعتزلة،والقائلين بتناسخ الأرواح،ومذهب أهل الحقيقة والشريعة والفرق الباطنية،وأصحاب الرموز والأسرار،ولقد وضعت كل فرقة أصولا عقدية لمن ينتمون إليها تمييزا عن مخالفيهم المناهضين لآرائهم.(٣)

ومن أقدم الفرق الإسلامية ظهورا ومزاولة لعلم الكلام الإسلامي:- المعتزلة، ومن ألقابها كذلك:- ١- أهل العدل والتوحيد

٢- المجوسية - لإقرارهم بأن الخير من الله والشر من العبد، وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين: أحدهما للخير والآخر للشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- الوعيدية – لما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة.

٤- المعطلة – وذلك لنفيهم الصفات الإلهية وتعطيلها وتأويلها تأويلا أخرجها عن معناها الحقيقي الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٥- القدرية – وذلك لاعتقادهم إنكار القدر وإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم.

ولقد ظهرت المعتزلة في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري،ويرجع أصلها إلي مؤسسها واصل بن عطاء ١٣١هـ، واختلافه مع عمرو بن عبيد ١٤٢هـ،و الحسن البصري ١١٠هـ في مسألة المسلم المرتكب للكبيرة، فحكم واصل بن عطاء بكونه ليس مؤمنا مطلقا، ولا كافرا مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام فاعتزل إلي اسطوانة في المسجد يقرر ما أجابه،حتى قال الحسن البصري:- لقد اعتزل عنا واصل بن عطاء، فسمى هو وأصحابه بالمعتزلة، واتخذوا لأنفسهم مذهبا أقاموه علي أصول خمسة، اعتبروها أصول الدين التي يجب علي المكلف أن يؤمن بها قبل معرفة الفقه والشرع وهى: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد،، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(٤)

ومن بين هذه الأصول عقائد هي من صميم الفكر المعتزلي ولعل من أهمها عقيـــــدة:-

الغائية، أو الصلاح والأصلح، ذلك لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالأفعال الإلهية،والإنسانية، لإبراز وتحقيق العدالة الإلهية، وإثبات حرية الإرادة الإنسانية،وما تشتمل عليه هذه العقيدة من مظاهر اللطف الإلهي التي تتمثل في: منح العقل للعباد، ودوره في معرفة الحق،والحسن،والقبح قبل ورود الشرع، وإرسال الأنبياء والرسل ومهمة الإعلام بالتكليف، وتكليف العباد ما يطيقونه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإثبات حرية الإرادة الإنسانية، وتفسير وجود الشر في العالم، والعدالة الإلهية المطلقة، والتوفيق الإلهي للعباد،وتحقيق الوعد والوعيد الإلهي على الفعل الإنساني، متخيرين ما يعتقده معتزلة بغداد تجاه هذه العقائد

فكان ذلك البحث حيث بيان مفهوم ومظاهر:

((الغائية عند المعتزلة))

والذي يتكون من: مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة.

فالمقدمة: تناولت – بإيجاز – عوامل نشأة علم الكلام الإسلامي

أما التمهيد: فيتكون من مسألتين

الأولى– تتناول أصول المعتزلة الخمسة.

حيث تعرض: مفهوم التوحيد،والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال تصور المعتزلة لهذه الأصول وما ترتب عنها.

الثانية – تعكس مفهوم الغائية لغة واصطلاحا.

حيث تبين اختلاف المدارس الفكرية – فلاسفة، ومتكلمين، وأصوليين – حول مفهوم الغائية، وارتباطه بالهدف المرجو منه، وارتباطه بالموضوع المتناول لديهم.

أما المبحث: فعنوانه: (الغائية عند المعتزلة)

حيث يوضح: مفهوم الغائية – عند المعتزلة –، وارتباطه باللطف الإلهي،وأنواعه في القرآن الكريم، ثم بيان مظاهر اللطف الإلهي المتمثلة في:–

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إرسال الأنبياء والرسل ومهمة الإعلام بالتكليف، ومنح العقل للعباد ودوره في معرفة الحق والحسن والقبح قبل ورود الشرع، وتكليف العباد ما يطيقونه، وإثبات حرية الإرادة الإنسانية، وتفسير وجود الشر في العالم، والتوفيق والهداية الإلهية للعباد، وإثابة المطيع،وعقاب العصاة تحقيقا لمبدأ الوعد والوعيد الإلهي على الفعل الإنساني، من أجل منفعة وصلاح العباد، وفعل ما هو أصلح لهم، وموقف أهل السنة والجماعة منها.

أما الخاتمة: ففيها إجمال لما تضمنه البحث والنتائج المستفادة منه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التمهـــــيد

المسألة الأولى: (أصـــــول المعتـــــزلة الخمســـــة)

للمعتزلة أصول خمسة اعتقادية لا يسمى المعتزلي معتزليا إلا إذا اعتقـد بهـذه الأصول وهى :-

(التوحيد،والعدل،والوعد والوعيد،والمنزلة بين المنزلتين،والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر)

١- أصل التوحيد عند المعتزلة:-

رؤية المعتزلة للتوحيد هي في حقيقتها تمثل رد فعل مضاد للأفكار التـشبيهية، والتجسيمية المخالفة لحقيقة تنزيه الله تعالى عن مشابهته للمخلوقين، ومـن ثـم انبروا يحاربون كل مذهب،ويفندون كل قول يرونه متعارضا مع مبدأ الوحدانية، يجعل لله شريكاً،أو يشبه الله بخلقه،أو شبه خلقه به.(٥)

فكثير من هذه الآراء انبثقت من أصحاب العقائد كاليهود، والنـصارى، تعكـس نزعة التجسيم،والتشبيه، والتعدد المنافي للتوحيد،وبعض من الفـرق الإسـلامية الغلاة.

فاليهود قد شبهوا الله تعالى بخلقه فيرون - على سبيل المثال - أن الله تعالى قد ندم وحزن كالإنسان،وذلك كما جاء في سفر (التكوين ٦: ٦):-

" ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض.. فعزا قلبه - قلب الـرب - الأسف والحزن،لأنه خلق الإنسان، فقال أمحو الإنسان الذي خلقته علـى وجـه الأرض مع سائر الناس، والحيوانات، والزواحف،وطيور السماء، لأني حـزين أني خلقته " !!.(٦)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنصارى قد وقعوا في التعدد المنافي للتوحيد حيث اعتقدوا بأقانيم ثلاثة هي:- الآب،الابن، الروح القدس تكوّن الذات الإلهية !!

والمجوسية قد رفعت شعار التعدد، حيث قالت بإلهين أحدهما (يزدان) إله النور،والخير، والآخر

(أهرمن) إله الظلام، والشر !!.(٧)

وهناك من يشبهون المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وذلك مثل قول السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ):- بإلهية علي بن أبي طالب، فعندما قتل علي زعم (عبد الله بن سبأ) أنه لم يمت، بل صعد إلى السماء كما صعد عيسى ابن مريم، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل إلى الأرض كي يملؤها عدلاً وسلاماً.!!. (٨).

وهناك قول المقاتلية (أتباع مقاتل بن سليمان ١٥٠هـ)، وأصل مذهبهم التشبيه، ووصف الله بالجسم

وقد حكى الأشعري(٣٢٤هـ) في مقالاته عن مقاتل أنه زعم: " أن الله تعالى جسم من الأجسام،وأنه جثة على صورة الإنسان، له لحم ودم وشعر وجوارح وأعضاء من رجل ويد ولسان وعينين ".(٩)

فمن خلال ما سبق من نزعة الإفراط في التشبيه، كانت رؤية المعتزلة التنزيهية تجاه التوحيد الإلهي

والتي بينها الأشعري قائلاً: -

" أجمعت المعتزلة على أن الله تعالى:- واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأنه ليس بجسم،ولا شبح،ولا جثة،ولا صورة،ولا لحم،ولا دم،ولا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شخص،ولا جوهر،ولا عرض، ولا بذي لون ولا رائحة،ولا بـذي حـرارة،ولا رطوبة،ولا يبوسة،ولا طول،ولا عرض،ولا عمق،ولا اجتماع ولا افتـراق،ولا يتحرك ولا يسكن،وليس بذي يمين ولا شمال،ولا أمام،ولا خلـف،ولا فـوق ولا تحت، ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان، وكل ما يخطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له... وهو القديم وحده، ولا قديم غيره، ولا إلـه سـواه،ولا شريك له في ملكه،ولا وزير له في سلطانه،ولامعين على إنشاء ما أنشأ، وخلـق ما خلق سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء". (١٠)

هكذا يتضح مما سبق أن هناك اتجاهين: -

أحدهما - وفيه يفوق الإنسان في التنزيه،وإبعاد الإله عما يظن أنه غيـر لائـق به،فيظل الإنسان يتمادى في السلب، حتى يبدو الإله وكأنه فكرة مجردة كما فـي تصور المعتزلة السابق.

ثانيهما - وفيه يتطرف الإنسان في جانب التشبيه،أو الإثبات حتى ينتهي تصوره بنسبة الجسدية لله تعالى كما في تصور المشبهة المجسمة. !! (١١)

وانطلاقا مما سبق، فقد حذر العارف الصوفي سهل التستري (٨١٥م - ٨٩٦م) من التطرف في أيّ اتجاه منفرد لجانبي التنزيه،والتشبيه حيث يقول " لا يخرجنكم تنزيه الله إلى التلاشي، ولا يخرجنكم تشبهيه إلى الجسد ". (١٢)

ومن ناحية أخري قسم المعتزلة الصفات الإلهية قسمين: -

الصفات السلبية- وهى التي تسلب عن الله تعالى مالا يليق بكمال الله تعالى مثل مخالفته للحوادث التي تعنى نفى وسلب المشابهة عن الله تعالى،والوحدانية التـي تعنى سلب الشريك،والتعدد مع الله تعالى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصفات الثبوتية - والتي تشمل صفات الذات، وصفات الأفعال، والصفات الخبرية.

ومما لاشك فيه أن الصفات الإلهية عند المعتزلة قائمة على عدة أسس: -

الأول- إن الوصف الأخص الذي قالوا به يرجع إلى أمر سلبي، يهدف إلى تنزيه الله تعالى، ووصفه بالتفرد، وعدم مشاركة المخلوق.(١٣)

الثاني - الصفات الإلهية هي عين الذات، وليست زائدة على ذات الله تعالى ، ذلك لأنه ليس في الأزل سوى ذات الله تعالي وحده، وصفاته عين ذاته،وأن تلك الصفات ليست أشياء،وأن ذات الله شيء آخر محتاج إليها، وعلى ذلك فإن الله تعالى قادر لا بقدرة، ولكن قادر بذاته،لأنه تعالى لو كان قادراً بقدرة، لكان جسماً محلاً للأعراض وهذا محال.!!(١٤)

يقول القاضي عبد الجبار (٣٤٠هـ- ٤١٥هـ) في حديثه عن صفات الله تعالى: -

" اعلم أن القديم عز وجل يوصف بأنه قادر،والمراد بذلك أنه يختص بحال لكونه عليها يصح منه إيجاد الأفعال، ويستحيل المنع عليه، وأنه قادر فيما لم يزل، ولا يزال لأنه استحق هذه الصفة لا لعلة متجددة بل لذاته..،ويوصف بأنه صمد،ويراد به أنه مصمود إليه في الحوائج..،ويوصف بأنه تعالى عزيز،أي معناه أنه لا تحلقه ذلة ولا إهتضام..، ويوصف بأنه تعالى عالم،أي مختص بحال لاختصاصه بها تأتى الأفعال المحكمة منه،وأنه تعالى عالم فيما لم يزال،عالم بجميع المعلومات..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويوصف بأنه بصير عالم..،ويوصف بأنه حي لنفى الموت عنه..، ويوصف بأنه تعالى قديم،ويراد به أنه لا أول لوجوده،وأن الذي يخص بهذه التسمية هو الله تعالى دون سائر الموجودات..، ويوصف بأنه تعالى سميع بصير،ويراد بذلك أنه على حال لاختصاصه بها يدرك المسموع والمبصر إذا وجدا..، ويوصف بأنه تعالى واحد في القدم والإلهية ". (١٥)

أما فيما يسمى بالصفات الخبرية، فإن المعتزلة قد أولت الصفات الخبرية تأويلاً يليق بجلال الله تعالى يتلاءم مع مفهومهم للتوحيد،وتنزيه الله تعالى، فاليد تعنى القدرة،والعين تعني الرحمة والعناية، والنظر يراد به الانتظار،والاستواء يعنى الاستيلاء والقصد والقهر، والوجه يعنى ذات الله تعالي.(١٦)

وقد نتج عن هذا الأصل ما يلي:-

١- نفي الصفات الإلهية التي ارتضاها الله تعالي لنفسه،وصرحت بها آيات القرآن الكريم،وأحاديث الرسول المصطفي ﷺ، فكانوا بحق معطلة للصفات الإلهية.

وهل يتصور كمال الذات الإلهية المقدس دون صفات ؟!!

وأي خطأ في إثبات الأسماء والصفات الإلهية مع نفى مماثلة المخلوقات، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، كما ثبت ذلك في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ؟

٢- تأويل الصفات الخبرية التي وردت في القرآن الحكيم، والسنة الشريفة.

٣- الاعتقاد بخلق القرآن الكريم، لنفي أزلية كلمة الله عيسى ابن مريم.

٤- نفي رؤية الله تعالي في الآخرة،علي الرغم مما ثبت في القرآن الكريم،والسنة الصحيحة تحققها وثبوتها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- الخطأ في قياس الغائب علي الشاهد، فما هو في حق الله تعالي، ليس مما هو في حق الإنسان ذاتا،أو صفاتا، أو أفعالا.

٢- أصل العدل عند المعتزلة:-

العدل عند المعتزلة إنما هو البحث في أفعال الله تعالىٰ، بأن أفعاله سبحانه وتعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح،وأنه عادل لا يظلم أحدا،وأنه يجب عليه فعل الصلاح والأصلح لعباده، ويجب عليه إرسال الرسل، لأن ذلك يؤدي إلي صلاح الناس، ويجب عليه الأعواض مقابل الآلام والأمراض التي ينزلها بالمكلفين وغيرهم من أنواع الحيوان، وأنه تعالي لا يخل بما هو واجب عليه، فأفعال الله كلها حسنة، وأنه تعالى منزه عن فعل القبيح، وبناء على هذا، فالله سبحانه وتعالى لا يفعل القبيح بوجه من الوجوه، وكما أنه لا يفعله، فكذلك لا يريده كما قال تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد ﴾ (البقرة/٢٠٥) ، وقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ (الزمر/٧).

فهذه الآيات وغيرها - كما يري القاضي عبد الجبار:- " تدل على أنه تعالى لا يريد الفساد، ولا يحبه، سواء كانٰ من جهته،أو من جهة غيره...، وأنه لا يكذب في خبره، ولا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم،ولا يظهر المعجزة علي الكذابين، ولا يكلف العباد ما لا يطيقون، بل يقدرهم علي ما كلفهم ويعلمهم صفة ما كلفهم، ويدلهم علي ذلك، ويبين لهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة، وأنه إن كلفهم وأتوه أثابهم لا محالة، وأنه تعالى إذا آلم وأسقم، فإنما فعله لصلاحهم ومنافعهم، وإلا كان مخلا بما هو واجب....". (١٧)

وقد ترتب على مبالغة المعتزلة في هذا الأصل ما يلي:-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- نفي أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد، لما فيها من القبائح والشرور والمفاسد.

وهذا رفض لقوله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (الصافات/٩٦)، وإثبات لعجز الله أن يحدث شيء في ملكوته لا يريده تعالى الله عما يصفون.

٢- العباد خالقون لأفعالهم بإرادتهم، ذلك لأنه لو كانت أفعال العباد مخلوقة لله، لبطل الأمر والنهى، وبعثه الأنبياء، ولقبحت المساءلة والمحاسبة والمعاقبة.

وهذا الاعتقاد كذلك رفض لقوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء﴾ (الرعد/١٦)، وقوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (الإنسان/٣٠).

٣- الله تعالى – عند النظام – لا يقدر على شيء من الشرور، ولا يوصف بالقدرة على المعاصي، وليست هي مقدورة لله تعالى، بل الله تعالى لا يوصف بالقدرة على أن يزيد أحداً في عذاب أهل النار.[١٨]

٤- الوجوب على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح، وبعثة الرسل، والأعواض، والألطاف.

يلزم منه أن لا يكون سبحانه وتعالى فاعلاً مختاراً، وهو باطل بالأدلة الدالة على أن له تعالى التصرف المطلق فيما شاء من عباده.

٣- أصل المنزلة بين المنزلتين:-

هذا الأصل يقع في الكلام في أسماء الأحكام،حيث أن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر،ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً،وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهو الحكم بخلوده في النار في الآخرة، وهذا الحكم هو سبب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تلقيب الأصل بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر،ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما. (١٩)

وقد نتج عن مبالغة المعتزلة في هذا الأصل ما يلي:-

١- الاعتقاد بخلود صاحب الكبيرة من المؤمنين في النار !!

وكأن المعتزلة قد أرادوا مساواة المسلم العاصي بالكافر والمنافق فأصبحوا سواء!!

وأن إيمان المسلم، وما فعله من خير، وأداء للفرائض الشرعية لا قيمة له.

ومما لا شك فيه أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو، ولا القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا،والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، أو أنه لا يخرج من

الإسلام والإيمان، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين – كما قالت المعتزلة– فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة – كالقتل مثلا – من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾(البقرة/١٧٨) إلى أن قالِ: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف﴾ (البقرة/ ١٧٨)، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا،وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- إنكار الشفاعة المحمدية لأهل الكبائر من أمة الإسلام في الآخرة، والتي جاءت في السنة النبوية العطرة، مما يؤكد على رفضهم أحاديث الشفاعة المحمدية للعصاة المؤمنين!!

٤- أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

ترى المعتزلة أن من لطف الله على العباد أنه أرسل إليهم الرسل والأنبياء لهدايتهم وتبليغهم الأوامر، والنواهي الشرعية،والأمر بالمعروف،والنهي عن المنكر، فأصبح هذا الأصل من الأصول الخمسة له جانبان:

الأول- الجانب الديني حيث يوضحون فيه:- تعريف الأمر، النهى، المعروف، المنكر وشروط الآمر بالمعروف، والغرض من الأمر وحكمه.

الثاني - الجانب السياسي حيث يوضحون فيه:- موقفهم من الحاكم الجائر

أولاً: الجانب الديني:-

ترى المعتزلة أن الأمر: قول القائل لمن هو دونه في الرتبة افعل، أما النهي: قول القائل لمن هو دونه لا تفعل، والمعروف: كل فعل عرف فاعله حسنه، أماالمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه، والذي يدل على وجوب الأمر،والنهى هو الكتاب،والسنة،وإجماع المسلمين مثل قوله تعالى

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران /١٨٠).

وترى المعتزلة " أن للآمر بالمعروف،والناهي عن المنكر شروطاً هي:- العلم بهما،وأن يكون المنكر حاضراً أمام الآمر،وأن أمره،ونهيه لا يؤدى إلى مضرة أعظم منه، كأن يكون نهيه عن شرب الخمر مثلا يؤدى إلى قتل جماعة من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلمين وأن الغرض من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو إيقاع المعروف وزوال المنكر.

وأن المنكر على قسمين:-

الأول - منكر يتغير حاله بالإكراه مثل شرب الخمر، وضرر هذا المنكر عائد على فاعله.

الثاني- منكر يتغير حاله من غير إكراه، مثل قتل المسلم والقذف، وضرر هذا المنكر عائد على فاعله والآخرين.

أما المعروف فهو كذلك على قسمين:-

الأول- واجب، والأمر بالواجب واجب.

الثاني - ليس بواجب، أي نافلة ".

وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ضربين:-

الأول - يقوم به الأئمة، مثل إقامة الحدود، وتولية القضاة، والأمراء

الثاني - يقوم به عامة الناس، مثل النهى عن شرب الخمر، والسرقة

أما عن حكم الأمر بالمعروف،والنهى عن المنكر، فهو فرض كفاية ".(٢٠)

ثانياً: الجانب السياسي:-

الجانب السياسي يتمثل في الخروج على الحاكم الظالم الذي لا يقوم بفريضة الأمر بالمعروف،والنهى عن المنكر، فأصبح هذا الجانب عندهم مرآة عاكسة لما أشاعته الدولة الأموية، وأظهرته في الحياة الاجتماعية والفكرية بتمسكها بعقيدة الجبر كي تبرر بها مظالمها- كما يرى أعداؤها - وما أحدثته ومثلته من تحول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلطة السياسية من خلافة الشورى إلى الملك الوراثي، وما وقع منهم من مظالم، ومن ثم حاول المعتزلة إثبات حرية الإرادة الإنسانية،وعودة خلافة الشورى، ورفض الخلافة الوراثية. (٢١)

إن الخروج على الحاكم الظالم واجب أوجبته المعتزلة تحقيقاً للعدل الشامل، لكن هناك شروطاً وضوابط للخروج عليه تتمثل في:- أن يكون الخروج على الحاكم الظالم مع وجود إمام عادل يتولى إقامة الأحكام الشرعية، وأن يكون الهدف هو إزالة الظلم،وإطاعة الحق،وأن يسلك في الخروج على الحاكم أيسر السبل، ووسيلة ذلك البدء بالموعظة،والنصح باللسان، فإن لم تجد هذه الوسيلة، وجب الخروج عليه بالسلاح، وذلك لإقرار الحق وإزالة البغي.(٢٢)

٥- أصل الوعد والوعيد لدى المعتزلة:-

الوعد - هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل

أما الوعيد - فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل

ويقصد به:- أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وأوعد العصاة بالعقاب، فما يحصل لهما هو من قبيل الاستحقاق على الأفعال، وليس تفضلاً من الله تعالى!!، وأنه تعالي يفعل ما وعد به، وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف، والكذب ذلك لأن الله تعالي ما دام قد كلف عباده بالأعمال الشاقة، فلابد أن يكون لها مقابل من الأجر، وإلا لكان ذلك ظلماً، والله منزه عن الظلم، فلا يجوز على الله تعالى أن يوجب العمل، ولا يوجب له جزاءً، وإلا كان التكليف قبيحا، ومن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم فمن خرج من الدنيا بغير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار.!![٢٣]

وقد ترتب على اعتقاد المعتزلة في هذا الأصل ما يلي:-

١- دخول الجنة استحقاقا بالعمل الإنساني، وليس من فضل الله تعالى ورحمته. والحق إن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى أولاً وآخراً، وليس للعبد على ربه أي استحقاق، غير أن الله تعالى أوجب على نفسه أنه لا يظلم عمل عامل من ذكر أو أنثى، فجعل العمل من أسباب دخول الجنة، والأسباب نفسها إنما هي تفضل من الله تعالى.

٢- الوجوب علي الله تعالى تحقيق ما وعد وما أوعد !!

ولا شك أن الله تعالى لا يستطيع أحد من خلقه أن يوجب عليه شيئاً لم يوجبه هو على نفسه، فالخلق عبيده، وله عليهم من النعم ما لا يقومون بشكر أقلها، ومع ذلك فإن الله تعالى لا يخلف وعده، فإنه يعطي العبد ما وعده به من الخير بحكم وعده وكرمه تعالى، وفرق بين وقوع ذلك على هذه الصفة وبين وقوعه استحقاقاً.

وكأن الأمر قائم على المعاوضة بينهم وبين الله عز وجل، وهذا خطأ كبير، ذلك لأن نعمة واحدة لا تفي بها أعمال العبد مهما كثرت، ولكن الله تعالى جعل العمل مع رحمة الله تعالى ومنته من أسباب دخول الجنة.

تلك هي أصول المعتزلة الخمسة.

ونتساءل ما مفهوم الغائية عن المعتزلة ؟

وهل ترتبط الغائية بالأفعال والألطاف الإلهية، والإرادة الإنسانية، لإبراز وتحقيق عدالة الله تعالي وحرية الإرادة الإنسانية ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسألة الثانية:- (مفهـــوم الغـــائية لغـــة واصطلاحا)

الغائية لغة:- الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان،ويتجه إلى تحقيقه، فيدفعه ذلك إلى تنفيذ الوسائل، والأسباب التي توصله إلي ذلك الغرض.

وبمعنى آخر:- هي ما لأجله إقدام الفاعل علي فعله من أجل تحقيقه. (٢٤)

الغائية اصطلاحا:- هي:- كل ما يتجه عن قصد إلي هدف معين.

ويختلف مفهوم الغائية بين المدارس الفكرية وفقا لموضوعها، والمقصد المرجو منها.

* فإذا كان المفهوم موضوعه (الفعل الإلهي)، فيصبح الحديث عن العلة الغائية من خلق الله تعالى للأشياء لحكم، ومصالح،وأهداف كثيرة تعـــود علـــي العبـــاد أنفسهم.

* أما إذا كان المفهوم متعلقا (بوجود الله تعالى)، فيصبح الحديث هنا عن دليل أساسي من أدلة إثبات الألوهية بوجه خاص، والدين بوجه عام، يسمي دليل العلة الغائية أودليل الحكمة أودليل النظام أو دليل القرآن، إذ كثير من آياته الكريمـــة تدور حوله.

ويعني الدليل الغائي:- أن النظر في تركيب العالم يقتضى تحقيق حكمة،أو غاية يعمل من أجلها الكون، كما يقتضى إثبات صانع حكيم مدبر لهذا النظام، ومن ثم يعتبر من أوضح الأدلة وأقواها في البرهنة على وجود الله تعالى.

١- العلة الغائية عند الفلاسفة الحكماء:-

لا شك أن العلّة الغائيّة هي إحدى أجزاء العلّل التامّة الأربع – المادية، الصورية، الفاعلة والغائية – ويراد منها:- ما تُخرج الفاعلَ من القوّة إلـــى الفعـــل، ومـــن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمكان إلى الوجوب، ويكون مقدّمة صورة وذهناً، ومؤخّرة وجوداً،وتحقّقاً، فهي السبب لخروج الفاعل عن كونه فاعلاً بالقوّة إلى كونه فاعلاً بالفعل، ولايمكن تصوّر العلّة الغائيّة – إذا قسنا ما يفعله النجار لصنع سرير – بهذا المعنى في فعل الله سبحانه وتعالى لغناه المطلق في مقام الذات، والوصف، والفعل، فكما أنّه تامّ في مقام الوجود، تامّ في مقام الفعل، فلا يحتاج في الإيجاد إلى شيء وراء ذاته، وإلاّ فلو كانت فاعليّة الحقّ كفاعليّة الإنسان، الذي لا يقوم بالإيجاد والخلق، إلاّ لأجل الغاية المترتّبة عليه، لكان ناقصاً في مقام الفاعليّة، ، مستكملاً بشيء وراء ذاته وهو لا يجتمع مع غناه المطلق.(٢٥)

٢- العلة عند الأصوليين:-

هناك ربط بين العلة والحكمة.

فالعلة:- هي الوصف الظاهر المنضبط المعرف للحكم.

مثال: جعل الشارع قطع يد السارق حدا من الحدود، فالسرقة هي علة هذا الحكم، وهي أوصاف ظاهرة منضبطة لا تختلف من شخص لآخر، أو من مكان لآخر.

أما الحكمة:- فهي

المصلحة التي قصد الشارع من تشريع الحكم تحقيقها،أو تكميلها، أو المفسدة التي قصد الشارع بتشريع الحكم دفعها،أو تقليلها. (٢٦)

٣- العلة الغائية لدى المتكلمين:-

تختلف آراء المتكلمين حول غائية الفعل الإلهي بين مؤيد، ورافض علي الرغم من الاتفاق علي إثبات وجود الله تعالي بأدلة الحكمة،أو النظام،أو الخلق،أو العناية،أو اضطرار العالم إلي ممسك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فذهبت الأشاعرة:- إلى أنّ أفعاله سبحانه ليست معلّلة بالأغراض، وأنّه لا يجب عليه شيء، ولا يقبح منه شيء، واستدلّوا على ذلك بأنه لو كان فعله تعالى لغرض، لكان ناقصاً لذاته، مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، لأنّه لا يصلح غرضاً للفاعل إلاّ ما هو أصلح له من عدمه، وهو معنى الكمال.

أما الماتريدية:- (أتباع أبي منصور الماتريدي ٣٣٣هـ) فيرون أن:- أفعاله تعالى معلّلة بالمصالح والحكم تفضّلاً على العباد، فلا يلزم الاستكمال، ولا وجوب للصلح عليه. (٢٧)

أما السلف الصالح :- فيرون أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه الكريم عن كثير من حكمه في خلقه وشرعه، وأخبر عن سببية بعض الأمور لما يخلقه سبحانه وتعالى،فقد أخبر ﷻ أنه خلق النجوم زينة للسماء ورجوماً للشياطين،وعلامات يهتدي بها العباد، وأنه خلق الموت،والحياة وكل ما على الأرض،ليبتلي العباد أيهم أحسن عملاً، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ﴾(الكهف/٧)، وأنه خلق الجن،والإنس ليعبدوه، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء لَكُم مِنْهُ شَرَاب وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/١٠-١١)، فتضمنت هذه الآية الدلالة على الحكمة والسبب، فالله أنزل من السماء ماء، ليكون شراباً للناس، وليكون سبباً لنبات الأشجار، وأنواع النبات، "ينبت لكم به" فالباء للسببية، ومثل ذلك قوله تعالى﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (الأعراف/٥٧)،وقال ﷻ في بيان حكمته من بعض نعمه على عباده: ﴿وَاللَّهُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:٧٨)،فأخبر أنه سبحانه وتعالى جعل للعباد العقول،والأسماع،والأبصار ليشكروه، فهو سبحانه وتعالى خالق الأسباب،وخالق المسببات، فإثبات الأسباب معناه أن الله خلق أشياء مؤثرة في غيرها، ومنتجة لغيرها بمشيئته سبحانه وتعالى، فهو الذي خلق السبب وجعله مؤثراً في مسبَّبه،وهو الخالق للمُسبب، فإثبات الأسباب لا ينافي التوحيد، وكذلك الغايات إنما هي إثبات للحِكَم، فمن يفعل لحكمة ولمعنى يقصد إليه فإنه حكيم، والله تعالى من أسمائه الحكيم وهو أحكم الحاكمين، وقد نزَّه سبحانه وتعالى نفسه عن العبث واللعب في آيات عديدة كما قال تعالى﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾(المؤمنون/١١٥)، وقال سبحانه وتعالى﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (القيامة:٣٦)،وقال ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ﴾(الدخان /٣٨- ٣٩)، ومن ثم فمن يقول بنفي الأسباب، أي بنفي تأثير الأسباب في مسبباتها فقوله معارض، ومخالف للحس،والعقل، والشرع، وكذلك نفي الغايات المحمودة التي تسمى بالعلة الغائية، هو مخالف لما دل عليه العقل، والشرع من حكمته تعالى في خلقه وشرعه.(٢٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبـــحث:- (الغـــــائية عنـد المعتـــــزلة)

يمكن القول إن الصلة بين الله تعالى والعالم في تصور المعتزلة قائمة على الخلق والإبداع والعناية الإلهية ورؤيتهم لوجوب الصلاح والأصلح علـى الله تعـالى، بمعنى أن تكون الصلة بينهما قائمة على وجوب فعل الصلاح والأصلح والخيرية على الله تعالى،لأن فعل الصلاح والأصلح يتفق مع وصف الله بالحكمة، فالحكيم لا يفعل إلا ما هو خير وصلاح،أما القبيح فإن الله تعـــالى لا يفعله، ومن ثم فالعالم محتاج مفتقر إلى الله فاعل الخير والصلاح والأصلح له.(٢٩)

ويعتقد المعتزلة – كما يصور القاضي عبد الجبار(٤١٥هـ) ذلك-:- أن أفعـال الله تعالي تتم لما فيه فعل الصلاح والأصلح للعباد، ومن ثم فكل أفعالـه تعـالي غائية تهدف إلي غاية وغرض،وليس فيها عبث أو تناقض،ومن ثم فهي معللـة بالعلل الغائية،وعلي ذلك فإن صلاح العباد وفعل ما هو أصلح لهـم هـو غايـة الأفعال الإلهية وعلتها كما هو واضح في الشريعة الإسلامية التي تقوم علي جلب المصالح ودفع المفاسد. (٣٠)

ويري المعتزلة أنه لكي تتحقق منفعة العباد لابد وأن يقدرهم الله تعالي علي فعل ما هو واجب،وذلك عن طريق:- اللطف الإلهي

<u>واللطف الإلهي</u>:- هو ما يقرب العبد إلي الطاعة، ويبعده عن المعصية من غير إلجاء،أو جبر حرصا علي الحرية الإنسانية (٣١)

ويعتقد المعتزلة أن اللطف نوعان:-

الأول – لطف مقرب إلي الطاعة مبعد عن المعصية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثاني – لطف محصل وآت للعباد مثل الآجال والأرزاق والقوى،وإعمال العقل،ونصب الأدلة.

أي ما تتوقف علي الطاعة. (٣٢)

فيري كل من الشريف الرضي(٤٠٦هـ) والقاضي عبد الجبار:- أن اللطف والمصلحة شيء واحد،ومعناهما ما يختار المرء عنده واجبا،أو يجتنب عنه قبيحا علي وجه لولاه لما اختاره ولما اجتنبه،أو يكون أقرب إلي أداء الواجب،واجتناب القبيح،ولابد من أن يفعله الله تعالي ليكون مزيحا لعلة المكلف،ولكي لا ينتقص غرضه بمقدمات التكليف. (٣٣)

وترى المعتزلة أن اللطف في القرآن الكريم نوعان:-

الأول – يتعلق بأصل التكليف كإرسال الرسل،وإنزال الكتب،وبيان الوعد والوعيد،وأدلة الإيمان. وهذا النوع واجب في حكمة الله تعالي للمؤمنين والكافرين،وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم تثبت ذلك الأمر كقوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى علي الهدى ﴾ (فصلت/١٧) الثاني – يتعلق بأفعال العباد خاصة المؤمنين، وذلك بزيادة في هداهم ومنفعتهم، وكأنه فضل وزيادة

من الله تعالى مكافأة لهؤلاء المؤمنين علي إيمانهم، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ (محمد/١٧).

وكأن حديث المعتزلة عن اللطف مستنبط من آيات القرآن الكريم، والتي تتحدث عن الله تعالي بكونه (اللطيف الخبير)، كقوله تعالى ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك/١٤)،وقوله تعالى ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ (الشورى/١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معنى ذلك يصبح اللطيف من أسماء الله الحسنى، هو فاعل الألطاف المقربة للعباد من الطاعات،والمبعدة لهم عن القبائح رأفة ورفقا ورحمة من الله تعالي بعباده.(٣٤)

ولقد تعددت (مظاهر اللطف الإلهي) لدى المعتزلة،والتي تعتبر بحق السبيل إلي تكوين الفكر الغائي لديهم ومنها:-

المظهر الأول:- إرسال الرسل ومهمة الإعلام بالتكليف

لا شك أن الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه عن التمييز بين الحسن من الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارها، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه علمه، لأنه ليس في محيط عقله ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحية وسعادة، كمعرفته بالله واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلي معين يساعده في معرفة ما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه. وقد يتردد الإنسان في أمر من شؤون حياته وتتملكه الحيرة فيه، إما لعارض هوى وشهوة من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية، ويخرجه من الظلمات إلي النور، ويكمله بمعرفة ما عجز عنه فكره وفهمه، ويوقفه على حقيقة ما تردد فيه أو عجز عنه عقله، ويدفع عنه غائلة الألم والحيرة ومضرة الشكوك والأوهام.

فإذا أضفنا إلي ما سبق تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض والمنازع فينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب وذلك مما يفضي إلي سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض وانتهاك الحرمات، فينتهي بالناس إلي تخريب وتدمير، لا إلي تنظيم وحسن تدبير، ولا يرتفع هذا إلا برسول يبعثه الله بفصل الخطاب ليقيم به الحجة، ويوضح به

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحجة، فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق، رحمة منه بعباده وإقامة للعدل بينهم، وتبصيراً لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وأعذاراً إليهم، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب.

فيري الشريف المرتضي:- أن من شاهد أحوال الناس وعرف واقعهم، عرف أن الله لم يرسل الرسل لمصلحة تعود إليه أو مضرة يدفعها عن نفسه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل أرسلهم لمصالح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فإرسال الله للرسل ليس مستحيلاً في نفسه، ولا عبثاً حتى يجافى حكمة الله، بل هو جائز عقلاً داخل في نطاق قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة، فإنه سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، ولا راد لما قضي، وهو على كل شيء قدير.(٣٥)

ويؤكد الزمخشري (٥٣٨هـ) في تفسيره أنه إذا كان الله تعالي قد علم أن صلاح العباد يتعلق بالشرعيات فلا بد أن يعرفنا إياها لكي لا يكون مخلا بما هو واجب عليه ومن ثم فإن بعثة الأنبياء واجبة علي الله تعالي لأنهم هم واسطة، ذلك التكليف وهم الذين ينقلون إلي العباد أوامر الله ونواهيه وما يسخطه وما يرضيه وبذلك تنقطع أعذار المكلفين وحججهم يوم القيامة، أي أن في تعليق الثواب علي بعثة الرسل دليل علي وجوب اللطف للعباد،ذلك لأن بعث الرسل فيه معرفة الطاعات والقبائح،حينئذ تقطع الأعذار علي العباد، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (الإسراء/١٥)، وقوله تعالى ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ﴾ (القصص/٥٩).(٣٦)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويوضح القاضي عبد الجبار أن بعثة الرسل وقيامهم بإعلامهم التكليف للناس خير دليل علي حرية الإرادة الإنسانية،وذلك لأنه لو لم يكن المكلفون مختارين لما صح كون الأنبياء مبشرين ومنذرين بما لديهم من أوامر ونواه شرعية، ليقوم الناس بالعدل في عقائدهم وسلوكهم،ومن ثم يكون عمل الرسول هو استيضاح ما في الآيات القرآنية من مصالح وألطاف تأكيدا علي حرية الإرادة الإنسانية، وشجبا لمن يعتقد بالجبر،ونفي إرادته، وذلك كما قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء/١٦٥).[٣٧]

ويرى العلامة المقبلي (١١٠٨هـ) إجماع المعتزلة علي أنه:- إذا كان الغرض من إرسال الرسل تمكين المكلفين من الاختيار بالإرادة الحرة تحقيقا لانتفاعهم بالتكليف، فقد وجب علي الأنبياء والرسل مخاطبة المكلفين بأوضح العبارات والألفاظ دون إبهام أو غموض، خاصة ما في الآيات القرآنية من مصالح وألطاف إلهية لأجل العباد،لأن الإبهام والغموض علل تمنع من النظر والفكر،وتدبر المعاني الدينية المرادة، والتي من أجلها أرسلت الأنبياء والرسل،تحقيقا لمصالح العباد،ولم تتحقق هذه المصالح إلا بالبيان الواضح من الرسل صلوات الله عليهم، وذلك لقوله تعالى ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ (آل عمران/١٣٨).[٣٨]

المظهر الثاني:- منح الله تعالي العقل للعباد

يحتل العقل مكانة هامة لدى المعتزلة !! فبه يدرك الإنسان حسن الأفعال وقبحها،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبه يكون مناط التكليف، وبه يستطيع الإنسان النظر الذي هو أول الواجبات على المكلف من معرفة الله وشكره، وبه يدرك المقصود من إرسال الرسل إذ لا عقاب لمن لم تأته الرسل،

وبه كذلك يدرك إثابة المطيع لأوامر الله وعقاب العاصي لمخالفته، فأصبح هو مناط التكليف، إذ لا تكليف علي غير العاقل ممن لم يبلغ درجة الرشد كالطفل أو الصبي أو من فقد عقله.

وانطلاقا من ذلك منح الله تعالى العباد العقل، ليكون صلاح العباد، والغاية من وجودهم. (٣٩)

ويحكي الشهرستاني قول أبي الهذيل العلاف (٢٢٦هـ) قائلا:- " يجب على المكلف قبل ورود السمع... أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبداً، ويعلم أيضاً حُسن الحَسن، وقُبح القَبيح، فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل، والإعراض عن القبيح كالكذب والفجور". (٤٠)

ويرى مفكرو المعتزلة أن العقل أحد المصادر التي يعرف بها الحق إلي جانب الكتاب والسنة بل إن القرآن الكريم اتخذه أساسا لخطاب المكلفين ومناط التكليف ومن ثم اعتبر العقل معيارا لمعرفة الحقائق الدينية، ومظهرا من مظاهر عدل الله تعالي وحكمته،وعنصرا خصه الله تعالى بالقدرة في الفصل بين الخير والشر، ومعينا للبشر علي معرفة آيات توحيد الله تعالي وحكمته في الكون، ذلك لأن الفرق – كما يرى الجاحظ- بين الإنسان وسائر الحيوان يكون بالعقل والمعرفة والاستطاعة والتمكين، فالله تعالي أعطى الإنسان العقل للاعتبار والتفكير،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأعطاه المعرفة لكي يؤثر الحق على هواه،وأعطاه الاستطاعة لإلـزام الحجـة عليه. (٤١)

ويعتقد المعتزلة كذلك أن العقل قادر قبل ورود السمع علي الحكم علي الأشـياء حسنها وقبحها،وقادر كذلك علي كشف الواجبات العقلية مثل تعلق الأفعال بالمدح أو الذم،والثواب والعقاب، ذلـك لأن العقـل – كمـا يـرى الحـاكم الجـشمي (٤٩٤هـ):- هو مجموع العلوم والمعارف التي واثق الله تعـالي بهـا عبـاده وركزها في عقولهم، لتكون معيارا يعرفون به ما فيه من الحسن من حسن، وما في القبيح من قبح،وعلي هذا الأساس يمكن تأويل كل ما ورد في القرآن الكـريم من تذكير دائب بالعقل، باعتباره ضابطا ومعيارا للحقائق الدينية، ومدركا لما في الأشياء من حسن أو قبح، وليس منشأ لها فيصبح حينئذ التحسين والتقبيح العقليان مدخلا أساسيا للشرائع السماوية والنبوات يصدقها، وينفي عنها كل دخيل). (٤٢)

وانطلاقا من آيات القرآن الكريم التي تنبه العقول إلي وجوب النظر والاسـتدلال بما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى علي خالقهـا الله تعـالى، أصبح النظر العقلي أول علم بالله تعالى يحصل للعبد.

وعن ذلك الاعتقاد يرى القاضي عبد الجبار:- " أنه إذا لم يكن بد مـن النظـر العقلي، فينبغي أن ينظر المكلف في هذه الحوادث من الأجسام وغيرها، ويـري جواز التغيير عليها، فيعرف أنها محدثة، ثم ينظر في حدوثها فيحصل له العلـم بأن لها محدثا علي تصرفاتنا في الشاهد، وهذا أول علم يحصل بالله تعالي وهو الصحيح ". (٤٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإظهارا لدور العقل في أفعال العباد، واعتباره مظهرا من مظاهر اللطف الإلهي، فقد ذم القرآن الكريم المقلدين في تقليدهم الأعمى للآباء المخالف لصريح الدين، وأقر أن الدين الحق هو القائم علي النظر والبحث والاستدلال، لا علي التقليد الأعمى، فقال تعالى في ذم المقلدين ﴿ إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مهتدون ﴾ (الزخرف/٢٢)، فالأمة هنا – كما يرى الزمخشري – هي الدين وقد كثر التدليس في الكتب والمذاهب والآراء، فيجب علي العاقل التيقظ والتحرز والتحفظ من التقليد الذي هلك به الأولون والآخرون.(٤٤)

وانطلاقا من ذلك منح الله تعالي العباد العقل، ليكون صلاح العباد والغاية من وجودهم، وبدونه يكون فسادهم وهلاكهم.

وخلاصة القول:-

١- إنه من الخطأ جعل ما يراه العقل من حسن أو قبح مدخلا أساسيا للشرائع الدينية، بل إن الشرائع الدينية نفسها – كما يرى أهل الحق واصفا ذلك العلامة أبو الخير العمراني ٥٥٨هـ – هي الأصل والأساس، فما يراه الشرع حسنا فهو حسن، وما يراه قبيحا فهو قبيح، وعلي العقل إتباع ما ورد في الشرع الديني، والتسليم بما جاء فيه، وليس ذلك إقلالا من قيمة العقل الإنساني في التفكر والتأمل في فهم الحقائق الدينية، وإدراك ما حدث في بعض الشرائع من تحريف وتزييف وما هو دخيل عليها وما هو حق، وإنما إثبات لقصور العقل المخلوق المحدود في فهمه للحقائق الدينية عامة، والغيبية خاصة إلا باتباعه لهدي النبوة التي تفسر تلك الحقائق الدينية، ومن ثم تتحقق الغاية من إرسال الرسل للعباد، وإلا لاستغنى الناس عن بعثة الأنبياء والرسل، وهداية الكتب الدينية، فيكون رفض أوامر الشرع، وإلغاء العقل سببا في هلاك البشر، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ وقالوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴾ (الملك/١٠، ١١)، ومن ثم يمكن القول:- إن صحيح المنقول وصريح المعقول متفقان.(٤٥)

المظهر الثالث:- تكليف العباد ما يطيقونه

اجمع المعتزلة على أن حقيقة التكليف:- إعلام الغير أن له أن يفعل، أو لا يفعل، نفعا أو دفع ضرر مع مشقة تلحقه في ذلك على حد لا يبلغ الحال به حد الإلجاء، ذلك لأن الله تعالي قد خلق الخلق لمنفعتهم، وكان عليه أن يعرض عباده للثواب حالة الطاعة، فوجب عليه – كما يقول القاضي عبد الجبار – أن يكلفهم، لأن التكليف هو السبيل للحصول علي ذلك الثواب، ومن ثم لو جاز تخلية العباد من التكليف، لكان الله تعالي قد أغراهم بالمعاصي !!

وانطلاقا من ذلك الاعتقاد أعتبر – كما يرى الزمخشري وغيره – التكليف حسنا، لأنه تعريض للثواب، وأن عدم التكليف إلغاء لمنفعة ومصلحة العباد، وعدم حصولهم علي الثواب المستحق لهم. فالتكليف هو أول الواجبات العقلية، وأنه يتضمن الخلق، فلا يجوز أن يكون خلق بلا تكليف، لأن التكليف هو غاية الخلق، فالخلق بلا تكليف خلق بلا غاية، فيكون حينئذ عبثا ومنافيا للغاية العظمى في حصول العباد علي مصلحتهم ومنفعتهم. (٤٦)

وتذهب المعتزلة إلي أن الله تعالى لا يكلف العباد إلا ما يطيقونه – رافضين اعتقاد من يقول بجواز تكليف العباد ما لا يطيقون – ويستطيعون تنفيذه، ويقدرهم الله تعالي على ما كلفهم به، ويعلمهم صفة ما كلفهم، ويدلهم علي ذلك، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك لأن- كما يرى الحاكم الجشمي - تكليف العباد ما لا يطيقون قبيح في نظر العقل، وبعدا عن مصلحة العباد ومنفعتهم، لأن الغاية من الخلق والتكليف هي صلاح العباد ومنفعتهم.(٤٧)

وقد أجمع مفكرو المعتزلة علي أن:- تكليف العباد ما يطيقونه يتضمن أمرين:-

الأول - نفي الحرج عن التكاليف الدينية، لأنه لو خلق الله تعالى في العبد الكفر، ولم يعطه قدرة الإيمان، لكان أعظم الحرج وذلك لقوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (الحج/٧٨)

الثاني - نفي مشيئة الإعنات عن الله تعالي، ذلك لأنه تعالي لا يريد ما لا يطاق لكونه إعناتا وتصريحا بانتفائه في حقه تعالى، وذلك كما قال تعالى ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ (البقرة/٢٢)

وانطلاقا من هذين الأمرين - كما يرى الزمخشري في تفسيره - لم يكلف الله تعالى الزمن القيام في الصلاة، ولا العاجز السعي إلي الجمعة، ولم يكلف من لا مال له الإنفاق منه ومن لا نصاب له الزكاة، فصح أنه تعالي ما كلف إلا القادر، والمتمكن من الفعل قدر استطاعته، وأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم، وقد نفي الله تعالى عن نفسه الظلم، وذلك كما قال ﷻ ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت/٤٦) . (٤٨)

ولقد استند مفكرو المعتزلة في تقريرهم لعقيدة تكليف العباد ما يطيقونه إلي آيات القرآن الكريم التي تؤكد على إثباتها، وإقامة الحجة علي العباد، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (البقرة / ٢٨٦)، وقوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(البقرة/١٨٥)، وقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (التغابن/١٦)، وقوله تعالى ﴿ ليس علي الأعمى حرج ولا علي المريض حرج ﴾ (النور/٦١).(٤٩)

المظهر الرابع:- حـــــرية الإرادة الإنسانية

يقسم مفكرو المعتزلة الأفعال إلي ثلاثة أقسام:-

الأول - الأفعال الاضطرارية:- وهي التي تحدث من نفسها بأمر الله تعالى، ولا إرادة للإنسان فيها، ولا حساب عليها كفعل النـــار للاحتـــراق، والرعـــدة عنـــد البرد.(٥٠)

الثاني - الأفعال المتولدة:- وهي الأفعال الحاصلة عن فاعله بتوسط فعل آخـــر، وبمعنى آخر الأفعال الواقعة علي الخطأ دون قصد وإرادة.

وعلي الرغم من اختلاف تصورات المعتزلة تجاه الأفعال المتولدة، إلا أنهم قـــد جعلوا (النية والاقتران) شرطين لإثبات المسئولية الإنسانية تجاه هـــذه الأفعـــال المتولدة، كمن رمي سهما فأصاب هدفه وأصاب إنسانا.

فيري الخياط(٢٩٠هـــ) وغيره:- أنه إذا وقع الفعل المتولد مقترنا بسببه، وبقصد من فاعله مباشرة استحق فاعله العقاب،ومن هنا يعاقب من أصاب هذا الإنـــسان بسهمه.

أما إذا وقع الفعل المتولد متراخ عن سببه ودون قصد، فلا مسئولية علي فاعلـــه ولا عقاب.(٥١)

ولا شك أن القول بالفعل المتولد - كما يعتقد المعتزلـــة - والمنـــافي لإرادة الله تعالي وفعله خارج عن الاعتقاد الصحيح، ذلك لأن ما يسمي بالفعل المتولد هـــو فعل لله تعالى لا للعبد، فإرادة الله تعالى ومشيئته هي النافذة لذلك الفعل أو لغيره

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثالث- الأفعال الاختيارية:- وهي التي تتصل اتصالاً وثيقاً بحرية الإرادة الإنسانية وأصل العدل، ومظهر من مظاهر اللطف الإلهي الذي يقرب العبد من الطاعة، ويبعده عن المعصية.

فعدالة الله تعالي تتنافي مع أن يكون المرء مسئولا عما لا يفعل، ذلك لأنه سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الكفر، ومن لم يرض به لم يكن مريدا له، وأنه حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر أو ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ولذلك أعطاهم حرية اختيار يستطيعون بها اختيار الأمور دون جبر أو إلجاء، فيصبح العباد حينئذ هم الفاعلون للخير والشر، والإيمان والكفر والطاعة والمعصية، وهم المجازون علي أفعالهم، وقد أقدرهم الله تعالى علي ذلك. ذلك لأنه محال أن يخاطب العباد بافعلوا وهم لا يملكون حرية الفعل، ومن هنا تصبح أفعال العباد مخلوقة للعباد، وليست مخلوقة لله تعالى، فلو كانت مخلوقة لله تعالى، لما استحق العباد عليها المدح والذم والثواب والعقاب .(٥٢)

وقد وجد المعتزلة أن آيات القرآن الكريم الدالة علي حرية الإرادة الإنسانية تنقسم إلي قسمين:-

الأول - آيات قرآنية تدل علي إثبات الإرادة الإنسانية الفعلية بما يتبعها من ذكر للوعد والوعيد والثواب والعقاب للمكلفين.

ذلك لأنه لو لم يكن الإنسان المكلف قادرا حرا علي الفعل والترك، لما صح أمره أو نهيه، فيبطل بذلك مدحه أو ذمه وإثابته أو عقابه، فيسقط بذلك التكليف الشرعي، وتصبح بقية الألطاف الإلهية - كإرسال الرسل ومنح العقل للعباد وتكليف ما يطاق...- عبثية لا فائدة منها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثاني – آيات قرآنية تنكر مشيئة الإلجاء وإبطال إيمان الملجئ. ذلك لأنه لو خلق الله تعالى أعمال العباد المكلفين جميعا، ثم توعدهم علي بعضها لكان فاعلا لما نهى عنه، فيؤدي ذلك إلي إثبات نقص في حق الله تعالى وهذا محال.(٥٣)

وانطلاقا من هذين القسمين استنبطت الأدلة القرآنية لإثبات حرية الإرادة الإنسانية ومنها:-

أولا- مدح الله للمؤمنين وإثابتهم بما أضافه إليهم من أفعال الطاعات، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون.... هم الوارثون ﴾ (المؤمنون/ ١-٥). فالآيات دليل واضح علي أن المؤمنين هم الفاعلون المختارون بإرادتهم للخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، والابتعاد عن الزنى، والمحافظة على الأمانات، وأداء الزكاة إلي مستحقيها.(٥٤)

ثانياً- التوجه إلى المكلفين بضرورة أداء التكاليف، دفعا للعذاب كما في قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ (التحريم / ٦)

فالآية واضحة الدلالة علي حرية العبد، وتصرفه فيما يفعل، حتى يقي نفسه وأهله عذاب النار؛ وإن لم يكن حرا ما صح أمره بوقاية نفسه وأهله. (٥٥)

ثالثاً – ما حكاه القرآن من ندم العصاة، وتحسرهم باستغفارهم وتوبتهم، كما في قوله تعالى﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ﴾ (البقرة / ٢٨٥)، ذلك لأن المؤاخذة لا تصح إلا والعباد مختارين لأعمالهم،وتحسر الإنسان يوم القيامة عما فرط من أعمال في الدنيا، وتذكره لهذا الإفراط خير دليل علي حرية الإرادة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنسانية، وذلك كما قال تعالى ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي ﴾ (الفجر/٢٣).[٥٦]

رابعاً – إرسال الرسل وتعليق الجزاء على بعثتهم كما في قوله ﴿ ﷻ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾

(الإسراء/ ١٥)، فالآية دلالة واضحة علي اختيار الإنسان لفعله من هداية أو ضلالة، وأنه غير مجبور علي عمله، وأن إتيان الرسول بالشرع وتبشير المطيعين، وإنذار العصاة بالعذاب، دليل آخر علي حرية العباد دون إجبارهم أو إلجائهم. [٥٧]

خامساً– إضافة الظلم إلى العباد خير دليل علي سوء اختيارهم، وتنزيه الله تعالى عنه كما في قوله تعالى ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ (غافر / ٢٣١)، وقوله تعالى ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾.(النساء/٤٠).[٥٨]

سادسا– مساءلة الله تعالي العباد عما فعلوه، واكتسبوه من أعمال، فيرى القاضي عبد الجبار في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ليجزى الله كل نفس ما كسبت ﴾ (إبراهيم /٥١) أن الآية الكريمة دليل على عدل الله تعالى، وأنه تعالى إن كان قد فعل في العباد الطاعة، فيجب أن يكون مجازياً لنفسه دونهم، لأنه لا يصح أن يكون الفعل من قبله، ولولاه لم يقع منهم البتة ثم يجازيهم.

وكما قال ﷻ ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين *عما كانوا يعملون ﴾ (الحجر/ ٩٢، ٩٣) دليل آخر يقر بحرية الإنسان في اختياره، ومساءلة الله تعالي عما اختاره الإنسان، وليس عما قضاه وقدره عليهم.[٥٩]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سابعا – إنكار القرآن الكريم تحميل المشركين نسبة معاصيهم وذنوبهم وشركهم إلي الله تعالي

، وذلك كما جاء في قوله تعالى ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ (الأنعام/١٤٨). (٦٠)

فانطلاقاً من الأدلة السابقة أجمعت المعتزلة علي أن:- أفعال العباد ليست مخلوقه لله تعالى، بل هى من قدرة العباد واستطاعتهم، ذلك لأن الأفعال تشمل المحاسن والقبائح، ومحال أن يكون الله تعالى خالقاً للقبائح، لأن أفعاله تعالى كلها حسنة، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى يوجب أنه تعالى خالق القبائح منها، وهذا يوجب كون تدبيره فاسداً، ونقص في حق القديم عز وجل من حيث أضيف إليه التدبير الفاسد، ومن حيث أخرجت أفعاله من أن تكون صلاحاً منتفعاً بها، ومن حيث يجوز عليه ألا يفي بوعده ولا وعيده، ويلزم القول بأن الله تعالى مفسد لتدبير نفسه بخلق القبائح، وتمكين العباد من التدبير الفاسد.(٦١)

ويرى العلامة المقبلي والحاكم الجشمي:- أن حرية الإرادة الإنسانية حجة الله علي عباده، و تصحيح للتكاليف الشرعية، وضرورة لتحقيق الوعد والوعيد، ومن هنا فإن رفض حرية العبد واختياره هو في حقيقته رفض للشرائع الدينية، وتعطيل للأنبياء والكتب السماوية، واستهزاء بالأوامر والنواهي الشرعية.(٦٢)

ويؤكد الشريف المرتضي علي هذه الحرية قائلا:- " إن الأفعال الظاهرة من العباد التابعة لقصودهم وأحوالهم هم المحدثون لها دون الله تعالى، لوجوب وقوعها بحسب أحوالهم، ولأن أحكامها راجعة إليهم من مدح وذم ".(٦٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما لا شك فيه أن الحديث عن أفعال العباد، وارتباطها بالإرادة والمشيئة الإلهية جزء لا ينفصل عن الحديث عن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره الذي هو أصل من أصول الإيمان، والذي هوعلى درجتين كما يري ذلك أهل الحق:-

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، حيث أنه تعالى قد علم بجميع أحوالهم من طاعات ومعاص وأرزاق وآجال، ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسهم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ (سورة الحديد / ٢٢)

الدرجة الثانية: هي الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، حيث أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى، وما من مخلوق إلا الله خالقه لا خالق غيره، ومع ذلك فقد أمر الله العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، فإنه تعالى يحب المتقين والمحسنين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنه لا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يرضى لعباده الكفر،وعلى ذلك فالعباد فاعلون حقيقة، لكن الله خالق لأفعالهم،وأن لهم قدرة وإرادة على أعمالهم، لكن الله تعالى خالق لقدرتهم وإرادتهم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ (سورة الإنسان / ٣٠)، فالله تعالى هو العزيز:- عزة قوة، وعزة امتناع فهو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة قهر وغلبة لكل الكائنات، فهي كلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقهورة لله تعالى خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، جميع نواصي المخلوقات بيده، فلا يتحرك متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فكأن هناك إرادتين:-

١- إرادة على الحتم والقسر، والتي بها تكون مشيئة الله وإرادته.

٢- وإرادة على الأمر والتكليف، والتي بها تكون الطاعة والمعصية باختيار الإنسان.(٦٤)

فيتضح مما سبق أن هناك جمعا بين إرادة الله الأزلية واختيار العباد في أفعالهم لما يحقق معنى الثواب والعقاب، ومن ثم فإن العبد إذا اعترف، وأقر بأن الله تعالى خالق لأفعاله كلها فهو على وجهين:-

الأول- إن اعترف به إقراراً بخلق الله لكل شيء بقدرته ونفوذ مشيئته، واعترف بفقره وحاجته إلى الله، وإنه إن لم يهده الله فهو ضال، وإن لم يغفر له فهو هالك.

فهذا العبد حاله حال المؤمنين الذين يرحمهم الله ويوفقهم لطاعته.

الثاني - إن قال ذلك احتجاجا على الله تعالى، ودفعاً للأفراد والنهى وإقامته لعذر نفسه، فهذا ذنب أعظم ممن يقول إن أفعال العباد كلها مخلوقة للعباد وليس لله إرادة أو اختيار فيها، وهذا من أتباع الشيطان، ولا يزيده ذلك إلا شراً، وعلى ذلك فيجب أن يرضى العبد بقضاء الله، لأن حكمه عدل لا يفعل إلا خيراً وعدلاً، وإنه تعالى لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. (٦٥)

وصدق حجة الإسلام أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ) في متن عقيدته حينما قال:- " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (الأنبياء/ ٣٣) فمن سأل : لِمَ فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين .....وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ (الفرقان /٣)، وقاله ﷻ : ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ (الأحزاب/٣٨)، فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما، لقد التمس بوهمه في محض الغيب سرا كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما....وأن كل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا، تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.... ". (٦٦)

ونتساءل:- أليس اعتقاد المعتزلة بأن أفعال العباد ليست مخلوقه لله تعالى، بل هي من قدرة العباد واستطاعتهم، وأنه محال أن يكون الله تعالى خالقاً للقبائح، دليل قوي علي إثبات إرادتين في الأكوان

أحدهما – إرادة خير محض من قبل الله تعالى، وليس في مقدور الله تعالى فعل ما هو شر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا كيف يمكن تفسير آيات الابتلاء بالخير والشر والـنقص مـن الأنفـس والثمرات والخوف ؟

والأخرى – إرادة الإنسان الفاعلة للخير والشر معا !!! فتصبح إرادته للشر أقوي من أن تكون مرادة لله تعالي !!، وهذا الاعتقاد قريب من اعتقاد المجوس الـذين يثبتون فاعلين في الأكوان يفعلان ما يفعلانه باختيارهما !!!

ونتساءل كذلك كيف يمكن تفسير وجود الشر في العالم ؟

هل يقع بقضاء الله تعالى وقدره ؟ أم بقضاء وقدر الإنسان ؟!!

وكيف يمكن وقوع شر من نقص في الأنفس والأموال والثمرات أو قحط وزلازل وكوارث في كون الله لا يريده الله تعالى وفقا لاعتقاد المعتزلة أنه تعالى حكيم لا يفعل إلا الخير والنفع والصلاح والأصلح لعباده ؟!

ألا يدل ذلك الاعتقاد على محدودية الإرادة الإلهية في عالم هو في حقيقته مـن إبداع وخلق الله تعالى ؟

وماذا يعني وقوع الشر من الإنسان، وقد زوده الله تعالى بالقدرة والحرية علـي الإتيان بالشر ؟ .

ألم يعن إرادة الله تعالي للشر أن يقع ؟.

أم أن الله تعالى لا يزود الإنسان بالقدرة علي الإتيان بالشر، فلا يوجد شر فـي العالم بدءا ؟

إن خلق الله تعالى للإنسان وتزويده بالقدرة علي فعل الشر، يدل علي أنه تعـالى قد سمح بوقوع الشر في ملكه ابتلاء واختبارا لعباده، وذلك مصداقا لقوله تعـالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ (الأنبيـاء/٣٥)، وقولـه ﷻ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/١٥٥)

يعتقد مفكرو المعتزلة أن هناك نوعين من الشرور:-

الأول – شرور صادرة عن أفعال الإنسان الحرة،والتي يحاسب عليها، وليس لله تعالى دخل فيها !!!! الثاني – شرور كونية طبيعية من كوارث وآلام وأسقام، وهى من فعل الله تعالى وإرادته ولا تسمى شرورا حقيقية بل شرا بالمجاز، فإن وقعت فيجب على الله تعالي تعويض العباد الذين أصابتهم هذه الشرور والأسقام!!!

فيرى الخياط (٢٩٠هـ) والقاضي عبد الجبار:- أن ما يبدو لنا في ظاهره شراً أو فساداً إنما يخفى وراءه حكمة باطنة لا ندركها، وإن كان هناك شر حقيقي، وهذه الحكمة هي أن الله تعالى يعوض من وقع عليهم الآلام والشرور عوضاً ولطفاً يتناسب مع ما تعرضوا له، وإنه ما من شر يحدث إلا والإنسان فاعله، أما ما يفعله الله تعالى من القحط والجدب فإن ذلك شرا على المجاز، وإنه ابتلاء من الله تعالى لعباده حتى يصبروا فينالوا الجنة والنعيم، والأعواض المستحقة علي الله تعالي على ما نالهم من آلام وشرور وأسقام في الدنيا). [٦٧]

أما (النظام ٢٣١هـ) فقد سلك في تفسير وجود الشر مسلكاً غريباً حيث وصف الله تعالى أنه لا يقدر على شيء من الشرور، ولا يوصف بالقدرة على المعاصي،وليست هي مقدورة لله تعالى، بل الله تعالى لا يوصف بالقدرة على أن يزيد أحداً في عذاب أهل النار، ولا يقدر علي فعل القبيح)![٦٨]

يتضح مما سبق اعتقاد المعتزلة القريب من مذهب المجوس كما أعلن ذلك الأشعري قائلاً:-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

" إن مذهب المعتزلة في تفسير وجود الشر قريب من مذهب المجوس الثنوية، حينما ذهبوا إلى وجود إليهن أحدهما إله الخير، والآخر إله الشر، كذلك المعتزلة ذهبوا إلى أن وجود إرادتين:- إرادة الخير التي هي لله تعالي الذي يفعل الصلاح والأصلح، وإرادة للشر والمعاصي وهى للإنسان، أى أن إرادة الإنسان أصبحت مساوية لإرادة الله تعالى " !!.(٦٩)

ولقد أجمع سلف الأمة على أن وجود الشر لم ينقص من صفات الله الكمالية، وأجمعوا كذلك على أن ما من شيء إلا وقد أراده الله تعالى سواء كان خيراً أو شراً، وأنه ينبغي أن يفرق المؤمن بين ما ينسب إلى الله تعالى، وما ينسب إلى العباد.

فيرى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ):- " أن ما ينسب للعباد من السيئات والمعاصي والأضرار القبيحة حاصل وأساس لوجود الشر في العالم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء /٧٩]، وعلى ذلك يكون عقاب العباد الذين يرتكبون المعاصي والسيئات.

أما ما ينسب إلى الله تعالى من الأمور الكونية كالزلازل والأمراض والفقر، فلا يسمى شراً بل يسمى ابتلاء واختبار يهدف إلى حكمة وغاية، وذلك لقوله تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [الأنبياء /٣٥]، وعلى ذلك فالخير والشر هما بحسب العبد المضاف إليه لأن من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شر ومن تنعم به فهو في حقه خير".(٧٠)

المظهر الخامس:- التوفيق و الهداية الإلهية للعباد

التوفيق والهداية الإلهية أحد مظاهر اللهف الإلهي الذي يقرب العبد من الطاعة، ويبعده عن المعصية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث أجمع المعتزلة علي:- أن الله تعالي قد هدى الناس جميعا - مؤمنين وكافرين- بمعنى أنه قواهم علي الطاعة، وفعل بهم الأصلح، وبيّن لهم ذلك، فالكافرون لم يهتدوا ولم ينتفعوا بما قواهم الله تعالي عليه، أما المؤمنون فقد انتفعوا بما قواهم الله عليه، وأصلحوا بما أصلحهم.

وذلك لأنه تعالي قد أوجب علي نفسه هداية الناس، والتمكين لهم، حيث أزاح العلل التي تمنعهم عن أداء التكاليف بأن قواهم علي الطاعة، وبيّن لهم ودلهم علي ذلك، فإن عملوا بإرادتهم وفقهم إلي الثواب وطريق الجنة، وحكم بهدايتهم، وإن أبوا استحقوا الخذلان والإضلال علي سبيل المثوبة بأعمالهم، وقطع الأعذار علي العباد بإرسال الرسل،ومنح العقل لهم، ومن ثم يمنع العصاة من الاعتذار يوم القيامة للزومهم الحجة واستحقاقهم للعذاب، وذلك كما قال تعالى ﴿ يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (التحريم/٧)، وقوله تعالى ﴿ إن علينا للهدى ﴾ (الليل/١٢). (٧١)

يؤكد القاضي عبد الجبار علي أن:- العبد حر في اختياره، حيث الإيمان أو الكفر، وأن الله تعالي يوفقه أو يخذله بناء على هذا الاختيار، كما قال تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى *وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى ﴾ (الليل/ ٥-١٠)، حيث إن الحسنى هي الإيمان والإسلام، وأن الله تعالى هيّأ ولطف بالعباد ووفقهم، حتى تكون الطاعة ألين الأمور عليهم، فإن استغنى العباد فيما عند الله تعالى فإن الله تعالى يخذلهم ويمنهم الألطاف حتى تصبح الطاعة شيئا عسيرا ضيقا عليهم. (٧٢)

فكأن الهداية أو الإضلال هي باختيار الإنسان نفسه، وليس بإرادة الله تعالي هداية إنسان أو إضلال آخر !!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا ما يعتقده مفكرو المعتزلة واصفا إياه الزمخشري قائلا:- " فإن قلت: أما يهدي الله ويضل ؟

قلت: بلى، ولكن هدايته أنه خلق فينا العلوم الضرورية، وأنه نصب الأدلة على الحق؛ لأنه لا يُوصل إليه إلا بالدلالة، وأنه لطف وأخطر، وليست الهداية أن يفعل فينا الإيمان؛ لأنه كلفنا فعله، فكيف يكون فاعلا لما كلفنا؛ ولأن المؤمن يستحق الثواب، ولا يثاب أحد على فعل غيره، وأما الإضلال الذي هو جعل العبد ضالاً فكلاً؛ لأنه لا يقوم بالتكليف معه ".(٧٣)

ولقد أجمعت المعتزلة على أن للهداية في القرآن الكريم تأويلين:-

هداية عامة - وتعني الدلالة والبيان والتوضيح، وهى لسائر المكلفين، كما قال تعالى ﴿ فأما ثمود فهديناهم ﴾ (فصلت/١٧)، فالله تعالى هدى جميع الخلق إلي الدين بمعنى التعريف، ووضع الدلائل وفعل الألطاف، إذ لو لم يعم ذلك كل خلقه بهذه الأشياء، لصار الكافر والضال معذورا. (٧٤)

وهداية خاصة - جزاء ومكافأة للمؤمنين علي إيمانهم وعملهم

حيث يرى الحاكم الجشمي وغيره أنها على ثلاثة تأويلات:-

أ - زيادة اللطف والهداية بهم تثبيتا لهم علي الهدى كما قال تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ (محمد /١٧).

ب - الحكم بالهداية لهم كما قال تعالى ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾ (الأعراف / ١٧٨)

ج - الثواب وطريق الجنة كما قال تعالى ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم* سيهديهم ويصلح بالهم ﴾ (محمد/ ٤،٥). (٧٥)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى المعتزلة كذلك أن الضلال في القرآن الكريم يستعمل على وجوه:-

أ- الإضلال والبعد عن الدين كما في قوله تعالى ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ (إبراهيم/٣٦)

ب- الحكم بالضلال بأنهم ضالون، لقوله تعالى ﴿ يضل من يشاء ﴾ (الرعد/٢٧).

ج- الإبعاد عن الثواب

د – إهلاك الضالين عقوبة من الله تعالى لهم، كما قال تعالى ﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ﴾

(القمر/ ٤٧)، والذي لا يجوز على الله تعالى هو الإضلال عن الدين لأن الضلال قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح ولا يضاف إليه، وأن كل إضلال أضل الله تعالى به العباد، فإنما هو عقوبة لهم على كفرهم وفسقهم.(٧٦)

وكأن اعتقاد المعتزلة أن الإنسان بنفسه واختياره ومشيئته هو الراغب في الهداية أو الإضلال، وليس لمشيئة لله تعالى أثر في هدايته أو إضلاله، ومن ثم أولت الآيات القرآنية التي تحدثت عن الختم على القلوب، بمعنى العلامة التي يعرفها الملائكة فيسوقون الضالين إلى جهنم وبئس المصير.

وأولت كذلك الآيات التي تحدثت عن الضلال والختم والغشاوة كقوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (البقرة/٨) وقوله ﷻ ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ (النحل/٩٣) بأنها استحقاق لهؤلاء العباد المختارين بأنفسهم هم أن يكونوا ضالين رافضين إتباع الدين، ومن ثم ختم على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلوبهم بما فيها من الكفر، وأضلهم الله تعالى بما شاءوا أن يريدوا الضلالة لأنفسهم.[٧٧]

هكذا يتبين بما لا يدع مجالا للشك الخطأ الذي اعتقدته المعتزلة تجاه الهداية والإضلال الإنساني، واستقلال الإنسان بهما دون تدخل الإرادة والمشيئة الإلهية!!

والحق أن قضية الهداية والإضلال ترتبط ارتباطا وثيقا بالقضاء والقدر، بل هي قلب أبواب القدر

فكيف يقارن بين مشيئة الله تعالى خالق الوجود والكون كله له، ومشيئة الإنسان المخلوق العاجز الذي هو جزء من خلق الله تعالي ؟

يؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن درجات الإيمان بالقدر على:- وجوب الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، حيث أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى، وما من مخلوق إلا الله خالقه لا خالق غيره، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾

(سورة الإنسان / ٣٠).[٧٨]

ويرى العلامة ابن القيم:- " أن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال ، و لقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه.... وأن مراتب الهدى والضلال في القرآن الكريم أربع:-

الأولى- الهدى العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها.

الثانية - الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾، فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا، وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى/٥٢)، ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص/٥٦).

الثالثة - الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى وإرادته والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل.

وهذه المرتبة تستلزم أمرين:-

أحدهما- فعل الرب تعالى وهو الهدى.

ثانيهما - فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي والعبد المهتدي كما قال تعالى

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (الكهف/١٧) ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا قال تعالى﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وما لهم من ناصرين ﴾ (النحل/٣٧)، وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷻ، ولو حرص عليه ولا إلى أحد غير الله، وأن الله سبحانه إذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته كما قال تعالى﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَه ويذرهم في طغيانهم يعمهونُ﴾ (الأعراف/١٨٦)،وقال أهل الجنة ﴿ وقالوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّه﴾ (الأعراف/٤٣) فلم يريدوا أن بعض الهدى منه، وبعضه منهم، بل الهدى كله منه، ولولا هدايته تعالى لهم لما اهتدوا.

الرابعة – الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة والنار.

كقوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات/٢٢) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم ﴾ (محمد/ ٤، ٥) فهذه هداية بعد قتلهم فقيل المعنى سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم.

أما فيما ورد عن الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة والحائل بين الكافر وبين الإيمان.

فإن ذلك مجعول للرب سبحانه وتعالى حيث قال ﷻ ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ (البقرة/٧)....

ولا شك أن العدل الذي أثبتته القدرية مناف للتوحيد معطل لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته، والعدل الذي أثبته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل، والحق هو الجمع بينهما حيث كمال قدرة الرب وعموم مشيئته والحكمة والرحمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحقيقة العدل الإلهي، وإثبات إرادة الإنسان في الإيمان والكفر والتي تطابق ما أراده الله تعالى أزلا وشاءه سبحانه... ". (٧٩)

المظهر السادس:- تحقيق الوعد والوعيد الإلهي علي الفعل الإنساني

يعتبر تحقيق الوعد والوعيد الإلهي أحد مظاهر اللطف الإلهي، بل وخاتمته المرجوة من فعل الصلاح والأصلح الإلهي للعباد.

فقد أجمع مفكرو المعتزلة على أن:- حسن تكليف العباد منوط بالتعريض للثواب، ولذلك كان البعث الأخروي واجب من طريق العقل، للتفرقة بين المحسن وما وعد الله تعالى له، والمسيء وما أعد له من وعيد، فتتم بذلك الغاية التي من أجلها خلق الله تعالي العباد، حيث أقدر الله عباده علي ما كلفهم وقوى دواعيهم وأزاح العلل عنهم – مؤمنين وكافرين – فالمؤمن أحسن الاختيار لنفسه واستعمل عقله فآمن واتقى، لكن الكافر لم بحسن الاختيار لنفسه فضل وغوى وأغمض عينيه عن الحق وأصم أذنيه فاستحق العقاب والعذاب في جهنم فصدق فيهم قول الله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الأعراف /١٧٩). (٨٠)

ويرى الشريف المرتضي وغيره ان هؤلاء العصاة قد استحقوا الوعيد والعذاب، أنهم هم البادئون فعل المعاصي والذنوب، ومن ثم عاقبهم الله تعالى علي ذلك.

وبمعنى آخر فإن الله تعالى لا يبتدئ بالهلاك والتعذيب منه بدءا، وإنما فعل المعاصي هي السبب الأول لاستحقاق هؤلاء للوعيد الإلهي، وذلك كما قال تعالى ﴿ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ (القصص/٥٩).(٨١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وانطلاقا مما سبق فقد أجمع المعتزلة على أن تخليد أهل النار أصلح لهم، لأنهم لو خرجوا منها لعادوا لما نهوا عنه وصاروا إلي شر من حالتهم الأولى، وأن تخليد أهل الوعد في الجنة أصلح لهم، وبذلك لا يقدر الله تعالى أن يميتهم بحيث يبقى هو وحده كما كان وحده، وذلك وفقا لتحقيق الوعد والوعيد.

فالوعيد: كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل، وذلك بفعل النواهي والمحرمات الشرعية.

والوعد: كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل وذلك باتباع أوامر الشرع، واجتناب نواهيه.

ومن ثم يجب على الله تعالى تحقيق ما أخبر به من الوعد والوعيد، وأنه لا يجوز عليه الخلف في الإخبار. (٨٢)

ولقد اتفقت كلمة المعتزلة على أن أفعال الله تعالى معللة برعاية مصالح العباد ومنفعتهم، فأوجبوا على الله تعالي أن تكون شرائعه مصالح وألطاف للمكلفين،وأن منافع العباد على ثلاثة أنواع:-

١- منفعة العوض - وهى منفعة مستحقة لخلوص دواعي الحكمة والعدل استحقاقا محضا لا يقارنه تعظيم أو تبجيل، وهى للحيوان العاقل وغير العاقل، وهى كذلك أعواض مستحقة ناشئة عما يلحقهما من آلام ليست عقوبة عليهم، وإنما بفعل الغير فيهما.

فيرى مفكرو المعتزلة:- أن الآلام والمكاره والأمراض والبلايا وغير ذلك والتي ينزلها الله تعالى علي عباده المكلفين هي في حقيقتها مصالح وألطاف لما وراءها من منافع مستحقة علي الصبر وتوطين النفس، وهى كذلك ابتلاء وداعية إلي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التوبة والتذكر والرجوع إلي الله تعالي حينئذ يعوض الله تعالى عباده بنعم ومنافع وخير كثير إن عاجلا أو آجلا وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ (البقرة/١٥٥)،

أما الأطفال الذين لم يبلغوا شرائط التكليف، فالواجب لهم أن يوصل إليهم ما يستحقونه من الأعواض عما لحقهم من الآلام في الدنيا ومن ثم يجب على الله تعالي ألا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم لأنه ظلم وليس هناك مصلحة أو منفعة في ذلك وهو القائل ﷻ ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (فاطر / ١٨)، فإن وقعت الآلام عليهم فلابد من تعويضهم، وفي ذلك منفعة لهم. (٨٣)

٢- منفعة الاستحقاق " الثواب " - يراد بها المنفعة المستحقة على وجه التبجيل والتعظيم، وهى نتيجة حتمية لاختيار الإنسان للفعل المؤدي لثوابه واجتنابه للفعل المؤدي للعقاب، ومن ثم فإنها ليست تفضلا من الله تعالى، فكما أوعد الله العصاة بالعقاب، فقد وعد المطيعين بالثواب، ولن يصل إليها العبد إلا إذا جاهد خاطر الشيطان وخالفه.

فيرى القاضي عبد الجبار أن هناك خاطرين:-

خاطر داعي إلي الطاعة، وهو من الله تعالى.

وخاطر داعي إلي المعصية،وهو من الشيطان رغبة في مخالفة المكلفين أوامر الله وعصيانه، والأمر بالفحشاء والمنكر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا كان النهي الشرعي بعدم اتباع وساوس الشيطان استحقاقا لنيل ثواب الطاعة الشرعية، وذلك كما قال ﷻ ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (إبراهيم /٢٢).(٨٤)

٣- منفعة التفضل - وهى جود وتفضل من الله تعالى لعباده المؤمنين بغير سبب استحقاق.

وهى زيادة لهم في ثوابهم كما صرح القرآن الكريم بها في قوله تعالى﴿ لهم ما يشاءون ولدينا مزيد ﴾ (ق/٣٥)، وقوله ﷻ ﴿ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ (فاطر/٣٠).

حيث يرى الزمخشري في تفسيره أن تلك الآية السابقة خص الله تعالى بها المؤمنين بفضل الجزاء، وهذا دليل على أنه تعالى يضم إلي ثوابهم الناتج عن طاعتهم لله تعالى ثواب التفضيل من الله المنعم الجواد الكريم، فإذا كانت الزيادة علي مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم، فإن الزيادة علي مقدار جزاء الحسنة حسنة، لأنها فضل وجود من الله تعالى. (٨٥)

ولقد أوقع اعتقاد المعتزلة في تحقيق الوعد والوعيد الإلهي علي الفعل الإنساني في مآخذ عدة ولعل من أهمها ما يلي:-

أولا - اعتقادهم بخلود أهل الكبائر من أمة الإسلام في النار، منكرين بذلك ما ورد في السنة النبوية من أحاديث تثبت شفاعة الرسول الكريم ﷺ لأهل الكبائر من أمته، ورافضين كذلك إجماع الأمة علي أن الله تعالى يغفر جميع ذنوب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموحدين به عدا الشرك به سبحانه، وأن الحسنات يذهبن السيئات، فأصبح فعل الكبيرة " مساويا للشرك بالله تعالى، وأن فعل السيئات يحبط عمل الحسنات، وهذا إنكار لآيات القرآن الكريم التي توضح بما لا يدع مجالا للشك مغفرة الله تعالى للمذنبين المؤمنين كما قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (النساء/٤٨)، وقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (النساء / ١١٥، ١١٦)، وقوله تعالى ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود / ١١٤)،

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الأئمة الثقات عن أنس بن مالك ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ:-

" إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي ".(٨٦)

ومن ثم يمكن القول:- إنه ليس هناك شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة الصادقة إلي الله تعالى، كما أنه ليس هناك شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة عن الإسلام والرجوع إلي الكفر.

ثانيا - إن الله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم، ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين . فإن العباد لا يوجبون عليه شيئا، وإنما هو الذي أوجب على نفسه تفضلا منه وكرما، لا أنه يجب عليه فعل الصلاح والأصلح بمفهوم المعتزلة الذي فيه إقامة الحجة عليه إن لم يفعل بهم ذلك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا - اعتقاد المعتزلة بالوجوب على ربهم أن ينفذ وعده، وأن يعطي العبد أجر ما كلفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التي اختارها الله وكلف بها عباده !!!!

فالحق أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته أولا وآخرا، وليس للعبد على ربه أي استحقاق، غير أن الله تعالى أوجب على نفسه أن لا يظلم عمل عامل من ذكر أو أنثى، فجعل العمل من الأسباب دخول الجنة، والأسباب نفسها إنما هي فضل من الله تعالى ورحمته.

فالخلق عبيده، وله عليهم من النعم ما لا يقومون بشكر أقلها، ومع ذلك فإن الله تعالى لا يخلف وعده، فإنه يعطي العبد ما وعده به من الخير بحكم وعده وكرمه، وفرق بين وقوع ذلك على هذه الصفة وبين وقوعه استحقاقا.(٨٧)

تلك رؤية المعتزلة حول مفهوم الغائية، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالأفعال الإلهية والإنسانية لإبراز وتحقيق العدالة الإلهية وإثبات حرية الإرادة الإنسانية، وما تشتمل عليه هذه العقيدة من مظاهر اللطف الإلهي التي ذكرت من قبل، فالخير كل الخير في اتباع السلف الصالح الذي اتخذ من نبراسي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة عقيدة ومنهجا، وغيرهما الهوى والضلال.

وصدق الله العظيم﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام / ١٥٣)

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخـــــاتمـــة

وبعد فإني قد انتهيت بفضل الله تعالى من ذلك البحث، والذي عنوانه:- (الغـائية عند المعتزلة)

وواجب أن نبين أهم النتائج المستفادة منه:-

أولا:- إن التحديات المعاصرة التي تحدق بعالم الإسلام لجدير بنا حتمية وجوب استحسان الخوض في علم الكلام دفاعا عن عقيدة الإسلام، ذلك لأن الآخر لـن يترك شمس الإسلام تسطع، وإنما قصد إثارة الشبهات والشكوك حوله.

ثانيا:- إن للعقل الإنساني دورا محدودا في فهم،وإدراك الحقائق العقدية،ولـذلك يجب عدم إقحامه فيها، والتي تكفل الوحي الشرعي بالحديث عنها، خاصة التـي تتحدث عن الذات الإلهية،والأمور الغيبية، ومن ثم يجب التسليم بما أقره النقل – الوحي –، وتقديمه على العقل، خاصة في الأمور التي لم تتضح الحكمة منها.

ثالثا:- إنه من الخطأ الجسيم القول:- إن الغاية تبرر الوسيلة

فإذا كان الفكر المعتزلي قد أراد تنزيه الذات الإلهية عن مـشابهة المخلـوقين، والأفعال الإلهية عن القبيح لكنه:-

نفى الصفات الإلهية التي ارتضاها الله تعالى لنفسه، وتأول الـصفات الخبريـة، ونفى رؤية الله تعالى في الآخرة، ونفى صدور الشر عن الله، وإثباته للإنـسان، ونفى خلق الله تعالى لأفعال الإنسان، وقال بالإرادة الحرة الإنسانية المطلقة.

وقال بخلق القرآن الكريم والوجوب على الله تعالى:- (فعل الصلاح والأصـلح وإرسال الرسل وتحقيق الوعد والوعيد، وتكليف العباد ما يطيقونه.....)، ونفـى الشفاعة المحمدية لأهل الكبائر من أمة الإسلام وخلودهم في النار، ونفي رحمـة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله تعالى، ومنته في دخول المؤمنين الجنة والاعتقاد بأن العمل الإنساني هو الموجب لدخولها.

وقال بالخروج على الحاكم الجائر بالسيف،وإن سفكت الدماء، وتفرقت كلمة الأمة !!!... وغير ذلك من الأمور العقدية التي تحولت وكأنها مجموعة من القضايا العقلية، والبراهين المنطقية، والتي لو سلك المعتزلة فيها مسلك أهل الحق أهل السنة والجماعة، لكان للمعتزلة شأن عظيم آخر.

رابعا:- لم تكن خطورة الفكر المعتزلي قديما فحسب، بل يحاول بعض المفكرين المعاصرين إحياءه من جديد، تحت مسميات:- (العقلانية والتطور والتيار الديني المستنير والمعاصرة.....)، مقترنا هذا الإحياء بالتأثر بالفكر الغربي المادي المعادي للإسلام، والذي يحاول تفسيره وفقا للعقل الإنساني المجرد كمحاولة:- جعل القرآن الكريم مصدرا وحيدا لشريعة الإسلام، وإنكار السنة النبوية المحمدية كمصدر ثان لها،و تغيير الأحكام الشرعية قاطعة الدلالة، والحدود،والحجاب، والإرث، وتعدد الزوجات، والطلاق.... وغير ذلك متآمرين عليه، حتى لا يبقى منه إلا اسمه، ولا من شريعته إلا رسمه، فيصبح الإسلام دينا بشريا أساسه الأهواء والآراء والبدع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش والمراجع

(١) أبو المظفر الأسفرايني(شاهفور بن طاهر ٤٧١هـ): التبصير في الدين /ت محمد زاهد الكوثري / طبعة الأنوار- مصر - عام ١٩٤٠ م ص ١٢/١٣

أبو منصور البغدادي (عبد القاهر بن طاهر محمد ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق / ت محمد عثمان / مكتب ابن سينا-مصر- عام ١٩٨٨م ص ٣٥، ٣٦

(٢) الإيجى (عبد الرحمن ٧٥٦هـ): المواقف في علم الكلام / مكتبة المتنبى- مصر (د. ت) – ص٧.

(٣) العقاد (عباس محمود ١٩٦٤م): عبقرية على / دار نهضة مصر عام ١٩٧٧ ص ١٣١،٥

أ د. السنهوتي (محمد الأنور): مقدمة لدراسة علم الكلام / دار الثقافة- مصر - عام ١٩٨٨ م ص ٢١

(٤) الشهرستاني(هبة الله أبو الفتح عبد الكريم ٤٥٨هـ): الملل والنحل. بهامش الفصل لابن حزم / مكتبة السلام العالمية - القاهرة ١٩٨٦م - ج١ ص٥٢

(٥) أ د مدكور (إبراهيم): في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق / دار المعارف عام ١٩٨٣ ج٢ ص ٣٩

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل/ ج١ ص ١٤١

(٧) أ. د جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب فئ الفتن /مكتبة الدار الرياض عام ١٩٨٩ م ص ٣٢٠

(٨) النبوختى (الحسن بن موسى ٣١٠هـ): فرق الشيعة / ت أد عبد المنعم الحفني / دار الرشاد – مصر - عام ١٩٩٢ م ص ٤٩-٥٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أد. العودة (سلمان): عبد الله بن سبأ وأثـره فـى إحـداث الفتنـة / دار طيبـة – السعوديةعام ١٩٨٥ ص ٢٠٧

(٩) الأشعري (أبو الحسن علي ٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميين / المكتبة العـصرية – بيروت عام ١٩٩٠م ج١ ص ١١٥ ،أ.د النشار(على سامي): نشاة الفكر الفلـسفي في الإسلام / دار المعارف عام ١٩٤٨م ج١ ص٢٩٠

(١٠) الأشعري: مقالات ج ١ ص ٢٣٥

(١١) أ. د الحجر (السيد رزق): ابن الوزير اليمنـي ومنهجـه الكلامـي / الـدار السعودية للنشرعام ١٩٨٤ ص ٢٣٥

(١٢) أ.د جعفر(محمد كمال): التصوف طريقة وتجربة ومذهباً/دار الكتب الجامعية – مصرعام ١٩٧٠ م ص ٢١٧

(١٣) أ. د الشافعي(حسن عبد اللطيف): لمحات من الفكر الكلامـي / دار الثقافـة – مصر –سنة ١٩٩٣ ص ٣١

(١٤) القاضي (عبد الجبارالهمذاني ٤١٥هـ): المختصر في أصول الـدين / رسـائل العدل والتوحيد /ت أد محمد عمارة / مكتبة الشروق – مصر– عـام ١٩٨٣م / ج ٢ ص ٢١٢ .

(١٥)القاضي عبد الجبار: المغنى / تحقيق أ. د / محمـود محمـد خـضيرى /الـدار المصرية للتأليف سنة ١٩٦٥ ج ٥ ص ٢٠٤– ٢٤٥ بتصرف

(١٦) الحاكم الجشمي (أبو سعيد المحسن بن محمد بن كرامة ٤٩٤هـ) : رسالة إبليس إلي إخوانه المناحيس /

ت حسين المدرسي / مكتبة البرلمان الإيراني – قم – عام ١٩٩٨م ص ٢٢.

القاضي عبد الجبار: المعنى / ج ٥ ص ٢١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإمام ابن حنبل(أحمد بن محمد ٢٤١هـ):الرد علي الجهمية والزنادقة /ت صبري شاهين/دار الثبات – السعودية عام ١٤٢٤ه ص ٧٦-٧٩

(١٧) الشريف المرتضي(علي بن الحسين٤٣٦هـ): رسائل الشريف المرتضي/المجموعة الثالثة / رسالة (جمل العلم والعمل) / ت السيد الحسيني / منشورات دار القرآن – قم إيران عام ١٤٠٥ه ص ١٢

القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل ج٨ ص٣

(١٨) الشهرستانى: الملل والنحل ج ١ ص ٦١

(١٩) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة /ت عبد الكريم عثمان /مكتبة وهبة- مصر- ١٩٩٦م ص ١٣٩

(٢٠) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول ص ١٤٤-١٤٦ ، الشريف المرتضي: جمل العلم والعمل ص ١٨

(٢١) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال ص٣٢٠ نقلاً عن كتاب (تيارات الفكر الإسلامي)أد محمد عمارة ص ١٣١

(٢٢) الخياط(أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد ٣٠٠هـ): الانتصار /ت أ.محمد حجازي /مكتبة الثقافة الدينية – مصر – عام ١٩٨٨م ص ١٣

الزمخشرى (محمد بن عمر ٥٣٨هـ): الكشاف / دار الريان عام ١٩٨٧م ج١ ص ٣٩٦

(٢٣) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ٢٦٠

(٢٤)الشيخ عامر فالح: معجم ألفاظ العقيدة /ت العلامة ابن جبرين /مكتبة العبيكان – الرياض عام ١٤١٧ه ص ٢٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعجم الفلسفي – نشر مجمع اللغة العربية عام ١٩٨٣م ص ١٣١

(٢٥) ابن سينا(الشيخ الرئيس أبو علي الحسين٤٢٨هـ) : عيون الحكمة./ت أد عبد الرحمن بدوي/ منشورات المعهد الفرنسي عام ١٩٤٥م ص ٥٧

ابن سينا: الرسالة العرشية – ضمن تسع رسائل في الحكمة – ص ٣،٤

(٢٦) أد/ الزحيلي (محمد مصطفي): الوجيز في أصول الفقه الإسلامي / وزارة الأوقاف بقطر عام ٢٠٠٦م ص ٣٩١

(٢٧) الإيجي: المواقف في علم الكلام ص ٣٣١

(٢٨) ابن قيم الجوزية(محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ): مفتاح دار السعادة / مكتبة المتنبي ١٩٧٥م ج١ ص ١٩٦

أد/ الحجر: محاضرات في الفلسفة الإسلامية / دار الثقافة ١٩٨٩م ص ١٦٧.

(٢٩) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول ص ٣٠٢

(٣٠) القاضي: المغني ج٣ ص ٩١

(٣١) القاضي: شرح الأصول الخمسة ص ٥١٩

(٣٢) القاضي: شرح الأصول ص ٥٢١

(٣٣) الشريف الرضي(محمد بن الحسين ٤٠٦هـ): غرر الفوائد/ ت محمد أبو الفضل /دار الكتب الإسلامية بيروت ١٩٧٥م ج٢ ص ٣٤٧ ،
القاضي عبد الجبار: المغني / ج٨ ص ١٧٢

(٣٤) القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن / ت أد عدنان زرزور / الدار العالمية بيروت ١٩٦٠م ج٢ ص ٧٣٤

(٣٥) الشريف المرتضي: رسالة (جمل العلم والعمل) ص ١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣٦) الزمخشري: الكشاف: ج٢ ص ٤٧٩ ،القاضي: المحيط بالتكليف ص ٢٣٠

(٣٧) القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن ص ١٩٤

(٣٨) المقبلي(صالح بن مهدي ١١٠٨هـ): العلم الشامخ / طبعة دار عيسي الحلبي /عام ١٩٦٧ م ص ٤٠٣

(٣٩) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول ص٤٣ ، المغني ج٦ ص ٧٧.

(٤٠) الشهرستاني: الملل والنحل ج١ ص٥٥.

(٤١) الجاحظ(عمرو بن بحر ٢٥٥هـ): الحيوان / ت عبد السلام هارون / دار الكتاب العربي- بيروت ١٩٥٥م ج٥ ص ٥٤٣

الزمخشري: المنهاج في أصول الدين / ت عباس حسين / مكتبة مركز بدر العلمي – صنعاء ٢٠٠٣م ص ١٣

(٤٢) الحاكم الجشمي: تحكيم العقول في تصحيح الأصول /ت عبد السلام الوجيه /مكتبة الجامع الكبير – صنعاء عام ٢٠٠٠م ص ٢٥

(٤٣) القاضي: شرح الأصول الخمسة ص ٦٥

(٤٤) الزمخشري: الكشاف ج١ ص ٢١٣

(٤٥) العمراني (يحيي بن أبي الخير٥٥٨هـ): الانتصار في الرد علي المعتزلة القدرية الأشرار / ت أد عبد العزيز الخلف / مكتبة أضواء السلف – السعودية عام ١٩٩٩م ج١ ص ٢٠٩، ٢١٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤٦) القاضي عبد الجبار: المغني ج١٤ ص ٣٠٦ ،الزمخشري: المنهاج في أصول الدين ص ١٣

(٤٧) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٥٠٨،٥١٥ ، الحاكم الجشمي: رسالة إبليس ص ٢٤،٢٥

(٤٨) الزمخشري: الكشاف ج١ ص ٣٠١، ٢٧٣ ، القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن ج٢ ص ٥٢٧

(٤٩) المقبلي: العلم الشامخ في إيثار الحق علي الآباء والمشايخ ص ١٨٧، ٣٥٧

القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن ج٢ ص ٥٢٧، الحاكم الجشمي: تحكيم العقول في تصحيح الأصول ص ١٠٩

(٥٠) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول ص ٣٣٣

(٥١) القاضي عبد الجبار: المحيط بالتكليف ص٣٩٢، ٣٩٣ ، الخياط: الانتصار ص ١٣٠

(٥٢) المختصر في أصول الدين ص ٢٣٩ ،الحاكم الجشمي: رسالة إبليس ص ٤١، ٤٢

(٥٣) العلامة المقبلي: العلم الشامخ ص ٣٢٩ وما بعدها ،القاضي عبد الجبار: شرح الأصول ص ٣٥٤ – ٣٦٣

(٥٤) الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص ٨٨ ، القاضي: متشابه القرآن ج٢ ص ٥١٥

(٥٥) القاضي: متشابه القرآن ج١ ص١١٩

(٥٦) الزمخشري: الكشاف ج٣ ص٣٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥٧) القاضي: تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٠٢ ، الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص ٨٨

(٥٨) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ٢٣٩

الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر ص ٣٠٨

(٥٩) القاضي عبد الجبار: تفسير متشابه القرآن ج٢ ص٤٢٢، ٥٣٣

(٦٠) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص٢٠٣ ، القاضي: المغني ج٨ ص٣٢٩

(٦١) القاضي عبد الجبار:المحيط بالتكليف - تحقيق عمر عزمي - الدار المصرية للتأليف ١٩٦٨ م ج ١ ص ٢١

(٦٢) المقبلي: العلم الشامخ ص ٣٠٢، ٢٤٤، ٢٦٩ ،الحاكم الجشمي: رسالة إبليس ص ٤٨، ٤٩

(٦٣) الشريف المرتضي: رسالة (جمل العلم والعمل) ص ١٢

(٦٤) ابن تيمية(أحمد بن عبد الحليم الحراني ٧٢٨هـ) : العقيدة الواسطية / مجموعة الرسائل الكبرى / دار إحياء التراث العربي / بيروت عام ١٩٧٩ص ١٠٧ - ١١٢

الإمام الشافعي(عبد الله بن إدريس): الفقه الأكبر / ت محمد فرغلي / مجلة الأزهر عام ١٤٠٦ه ص ٣٠ - ٣٤

الإمام الدارمي (عثمان بن سعيد ٢٨٠هـ): الرد على الجهمية /ت بدر البدر/ الدار السلفية - الكويت عام ١٩٨٥م ص ١٣،١٤ ، الشيخ عامر عبد الله فالح: معجم ألفاظ العقيدة - تفسير كلمة العزيز - ص ٢٧٩

(٦٥) ابن تيمية:رسالة (الاحتجاج بالقدر) - مجموعة الرسائل الكبرى - بيروت - ج٢ ص١٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن القيم: مفتاح دار السعادة – مكتبة المتنبي – مصر –عام ١٩٨٥م ج١ ص ٢٨٨

(٦٦) أبو جعفر الوراق الطحاوي(٣٢١هـ): متن العقيدة الطحاوية /تقديم زهير الشاويش /المكتب الإسلامي – بيروت عام ١٣٧٩هـ ص ٧، ٨، ١٣

(٦٧) الخياط: الانتصار ص ٦٥ ، القاضي: المغني ج١٣ ص ٢٩٣

(٦٨) الحاكم الجشمي: تحكيم العقول – القسم الثالث (الكلام في التعديل والتجوير) ص ٨٣

الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٦١

(٦٩) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة – المطبعة المنيرية عام ١٩٤٥م ص ٤٦

(٧٠) ابن تيمية: رسالة الإرادة والأمر – الرسائل الكبرى – ج١ ص ٣٥٦

الحسنة والسيئة / دار الريان – مصر – سنة ١٩٨٨ ص ٥٩ – ٦٨

(٧١) الشريف المرتضي: رسالة في علم الكلام / المكتبة الكاظمية عام ١٩٥٥م ص ٦٥

القاضي عبد الجبار: المغني ج ١١ ص ٥٤

(٧٢) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن ص ٣٧١ ، المختصر في أصول الدين ص ٢٥٩

(٧٣) الزمخشري: المنهاج في أصول الدين ص ١١

(٧٤) الزمخشري: الكشاف ج١ ص ٣٣٣

(٧٥) الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص ٩٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشريف المرتضي: إنقاذ البشر من الجبر والقدر/ من رسائل العدل والتوحيد /ت أد محمد عمارة /مكتبة الشروق مصر ١٩٨٣م ج٢ ص ٢٣١

(٧٦) الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص ٩٦ ،الشريف المرتضي: إنقاذ البشر من الجبر والقدر ص ٢٣٢

(٧٧) المقبلي: الأرواح النوافخ لآثار إيثار الآباء والمشايخ – بذيل كتاب (العلم الشامخ) ص ٥٩١– ٥٩٣

الخياط الانتصار ص ١٢١ ، الزمخشري: الكشاف ج٣ ص ٢٩٥

(٧٨) ابن تيمية: العقيدة الواسطية ص١١٢

الشيخ الوادعي (مقبل بن هادي): صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال/مكتبة صنعاء الأثرية عام ٢٠٠٢م ص ٣٧٨

(٧٩) ابن قيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / تحقيق أد السيد سعيد محمود– دار الحديث سنة ١٩٩٤ م ص ٧٥ – ٩٠ بتصرف

(٨٠) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٣٥٩، ٥١٢

(٨١) الشريف المرتضي: رسالة جمل العلم والعمل – من رسائل الشريف المرتضي – ص ١٣

القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص ٢٥٧

(٨٢) الزمخشري: المنهاج في أصول الدين ص ١٧ ، الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص١١٧

القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص٢٥٥ ، الحاكم الجشمي: تحكيم العقول ص ١٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٨٣) القاضي عبد الجبار: المحيط بالتكليف ص ٢٢٨ ، المختصر ص ٢٥١ ،المغني ج١٣ ص ٣٩٠

الحاكم الجشمي: رسالة إبليس إلي إخوانه المناحيس ص ٢٤ ، تحكيم العقول ص ١٢٣

(٨٤) القاضي عبد الجبار: المغني ج١١ ص ٧٨، ٧٩ ، شرح الأصول الخمسة ص ٦١٢ – ٦١٤

(٨٥) الزمخشري: الكشاف ج٣ ص ٦١١ ، ج٤ ص ٣٨٩

(٨٦)الإمام البخاري(محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ) : الصحيح / ت أحمد شاكر – دار الحديث – مصر– عام ١٩٨٥م / مجلد ٣ ج ٩ ص ٥٨٩

الإمام الطبراني(سليمان بن أحمد ٣٦٠هـ) : المعجم الكبير / ت حمدي عبد المجيد /مكتبة العلوم والحكم – الموصل عام ١٩٨٣م ج١ ص ٢٥٨

الإمام أحمد بن حنبل: المسند / مؤسسة قرطبة – مصر ٢٠٠١م /ج٣ ص ٢١٣ حديث رقم ١٣٢٨٩

(٨٧) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية / مكتبة الرياض الحديثة عام ١٩٨١م ج١ ص ٢٨٠ –٢٨٣

ابن حزم: الفصل ج٤ ص ٥٣، ٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner